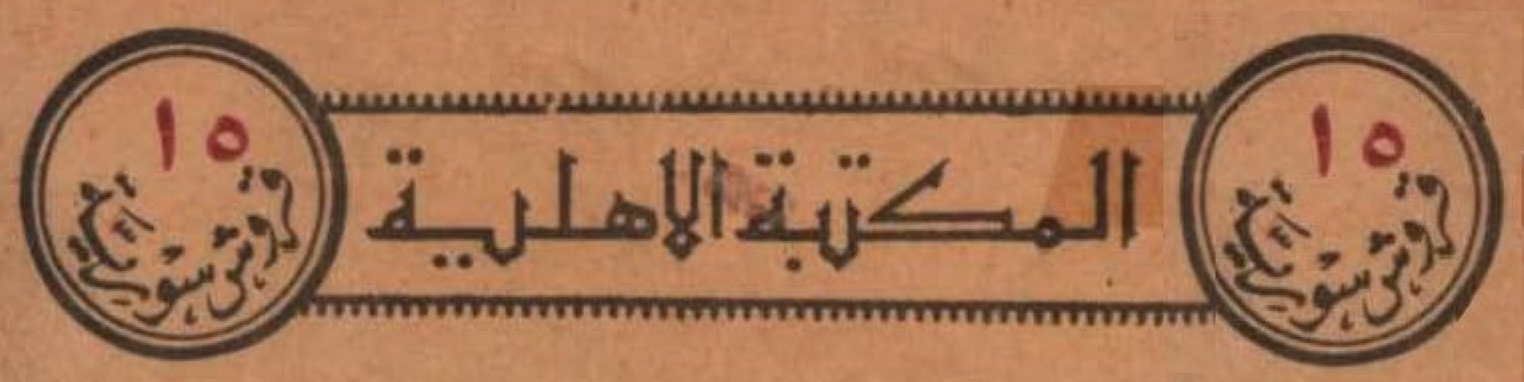
سيد الجزيرة العربية

ابن سعود



كلمة "الاهلية"

اصدرت المكتبة الاهلية لأشهر خلت ، كتاباً عن صاحب الجلالة السعودية للمستر وليمس الانكليزي ، لما احسته من رغبة العالم العربي في التعرف على اخبار سيد الجزيرة العربية وتاريخه ونشأته وجلائل اعماله ، وقد صادف الكتاب رواجاً نفذت معه نسخه ، فرأت الادارة ان تعهد الى الاستاذ عمر ابو النصر بتأليف كتاب جديد يختاره من السير الثلاث التي صدرت في الانكليزية والافرنسية للمستر ارمسترونغ ووليمس وزيشكا عن سيد الجزيرة ، و كلفته ان يعرض لتاريخ صاحب الجلالة عرضاً جديداً ، وان يتناول الاحداث الاخيرة كالحرب التي وقعت بين سيد الجزيرة وجلالة الامام بالبحث والتفصيل ليكون الكتاب كاملاً ، وليجد فيه شباب العرب قبساً يضيء لهم واجباتهم ، ويفتح امام اعينهم طريقهم ، ويحفزهم على التشبه بسيد الجزيرة في بطولته وجرأته واخلاصه ووطنيته

وهو واجب ترجو «الاهلية» ان توفق اليه ، بعد ان درجت في اكثر مطبوعاتها على غراره ، وهي على مثل اليقين من ان جمهور العلماء والفضلاء وشباب العرب يقدرون لها عملها هذا ، بما هو في طوقهم من تأييد وتنشيط وتعضيد .

بيروت

محمد جمال
صاحب المكتبة الاهلية

عني بطبعه ونشره
محمد جمال
صاحب المكتبة الأهلية

سيد الجزيرة العربية

ابن سعود

تخيره وانشأه من المصادر العربية والافرنجية

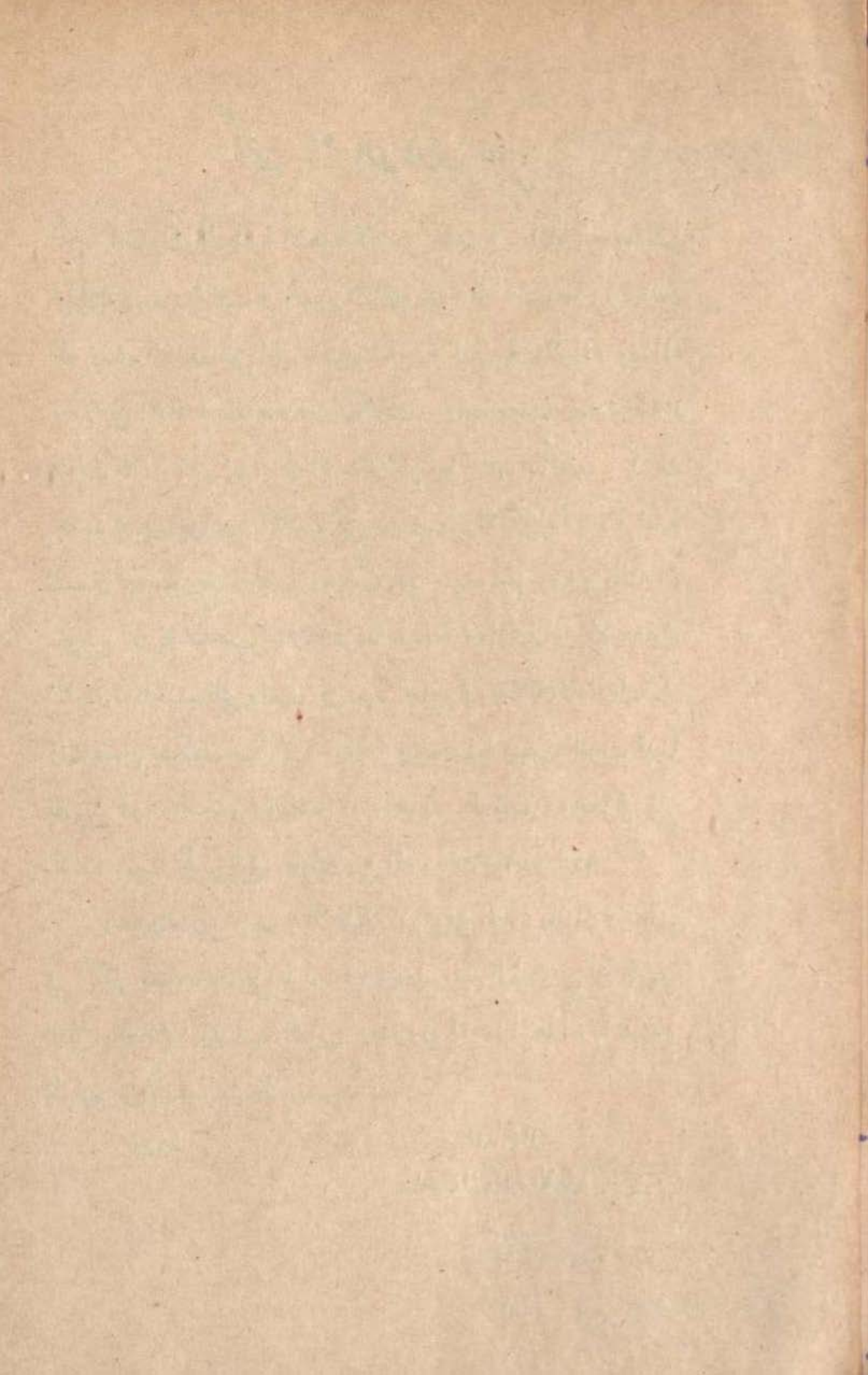
عمر أبو النصر

الطبعة الاولى

١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م

المكتبة الأهلية
في بيروت
للطبع والترجمة والتاليف والنشر

مطبعة الوفاء * بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على النبي العربي المعظم ، وبعد فهذا كتاب تخيرناه من غير مصدر واحد ، فهو خلاصة مختارة من مؤلفات كثيرة ، عرض مؤلفوها لسيد الجزيرة ، ففتنهم شخصه ، واطربهم خلقه ، واثارتهم جرأته ، ثم اكبروا فيه الاقدام وحسن السياسة ، ولباقة التصرف ، ورفيع الادارة ، وكياسة الرأي ، فذهبوا ينشرون اخباره ، ويتحدثون عن ماضيات ايامه ، وجلائل اعماله ، وعظيم اخلاصه لوطنه ، وهزهم الطرب لما عرضوا لنشأته ، فذهبوا يتسائلون في شيء كثير من الدهشة والانكار والعجب كيف يستطيع شخص فرد ان يخلق امة ، وينشأ مملكة ، ويسيطر على الجزيرة عرضها وطولها في سنوات معدودات

ولولا استفاضة الامر ، وثبوت الخبر ، لانكر الناس هذا وعدوه من اساطير الاولين ، وروايات المتأخرين ، ولكننا امام حدث واقع ، وامر منظور ، وليس ادل على خطورة العمل الذي قام به سيد الجزيرة ، من هذا السلام الذي يغمر الجزيرة ، قاصيها ودانيها ، صحراواتها وقفارها ، وديانها وسهولها ، وقد كانت لسنوات خلت ،

نعيث فيها الغزوات فساداً ، وتنزلها الاعراب فتصيب من خيرها وخيرات قبائلها ما شاء الله ان يصيبوا ، حتى اجرى سيد الجزيرة امره ، ورفع سوطه ، فاذا التافه والرفيع من المتاع يقع على الارض على حين غفلة من صاحبه ، فلا يعرض له مسافر ، ولا يلتفت اليه مقبل او مدبر ، حتى يرتد صاحبه باحثاً عنه فيجده حيث تركه

وسيري القارىء اننا سنفضي اليه في ما يلي من فصول حديثاً عجباً ، واننا سنجلو في ما يستقبل من صفحات حديثاً عربياً رائعاً ، فيه جرأة واخلاص ، وفيه ايمان واخلاق ، وفيه كرم واباء ، وفيه شدة ومضاء ، ثم فيه تصوير لقسوة الحياة وشدة الايام ، وتبسط بليغ في هذا الايمان القوي يغمر قلب فتى عربي ، فيدك امامه الجبال ويهدم المعاقل ، ويقتحم الحصون ، حتى يقرع ابواب تاريخه الضخم ويفضي الى امجاده السالفة ، وتاريخه الجليل ، معززاً ميراثه القومي ، بما يضيف اليه من طريف وجديد

وسيجدن القارىء اذا ما فرغ من كتابنا هذا ، ان سيد الجزيرة العربية ، ما يزال في جرأته وخلقه وايمانه ، واخلاصه ، ذلك الفتى العربي الذي تبسطنا في وصفه ، والذي اصبح جزءاً من قلبه ، وقطعة من فؤاده ، قوياً نشيطاً ، لا يمل المعارك ، ولا يستخذي للراحة والدعة والاماني الخفاف ، وان ما نذره لنفسه من توحيد الجزيرة العربية امر سوف يمضي به الى غاياته ، ويسير به الى نهايته .

١

جزيرة الاجداد

في ماضيات الايام ، وبينما كانت الثلوج تغمر العالم الاوروبي كانت جزيرة العرب آهلة بالاحراج ، كثيرة النبات ، تجري في ارضها مياه انهر ثلاثة .

ثم تبدلت الايام ، ومشى الزمن في دورته ، وتقلصت الارض ، فتجوف بعضها ، وتبسط البعض الآخر ، وتغير الاقليم ، واخذت الثلوج في الذوبان ، وعندئذ تحركت اوروبا ، واخذت تستفيق للحياة

وكان حظ بلاد العرب ان قل مطرها ، وجفت انهرها ، فاصبحت صحراء قاحلة ، وغمرتها الرمال ، وكثر فيها الحر ، فراحت تنام اذ استحال عليها ان تنشىء بعداليوم ، حضارة ثابتة الاركان ، موفورة العمران ، وليس يتنزل عليها المطر الا غراراً ، ولا تتمشى في رمالها الانهر الا لماماً

وتمضي الاجيال ، والجزيرة تضطرب في ما قصصناه من شأنها العجيب ، والحضارة حولها تنمو ثم تضمحل وتنهار ، والامبراطوريات تظهر في اطرافها ، وتتبسط في السلطان والعمران ، حتى اذا جاء اجلها ، اصبحت مواطنها اديماً ، وكأن القوم ما كانوا ، وكذلك

نشأت بابل واشور ، و كذلك استقامت الحضارة وزعامة العالم القديم لفارس ومصر والاغريق والرومان ، و كان لكل من هذه الدول اجل ، ولكل من جماعاتها حضارة وعمران موفور ، ما يزال اثره باقياً ظاهراً .

واما البلاد العربية ، واما الجزيرة نفسها فكانت نائمة ، يغمرها هذا الهدوء الذي يطفو على الصحراوات المترامية الاطراف ، هدوء فيه متاع ولذة للشعراء والمغنيين ، وفيه سحر للمصورين الفنانين ، وفيه ملهاة وقصص للتجار الذين يضربون في الارض حول اطرافها ، والذين كانوا يحدثون الناس فيما يحدثونهم من اخبار الممالك التي ينزلونها رواداً ، ويقصدونها تجاراً ، من مدن عظيمة شاهقة البنيان عظيمة العمران ، فيها ثراء وفيها ذهب نضير ، وفيها خير كثير ، تبسطت في رقع مختلفة من هذه الجزيرة ، واستطار شأنها في ماضيات الازمان وسالفات الاعوام ، وهي قصص كانت تثير اعجاب الناس ودهشتهم ، و كانت تحبس خيالهم وتهز عواطفهم ، حتى لقد كان من امرها ان استفزت امبراطور الرومان فارسال بعثة الى الجزيرة تبحث عن هذه المدن وتحمل اليه ما فيها من ثراء وخير وحضارة سالفة ، ولكن الجزيرة ابت على سرها الذبوع ، ونضافرت قواها على صد هذا الفاتح الجديد ، فما هو الا ان هبطها رسول عاهل الروم باحثاً منقباً ، حتى ثارت رمالها ، واشتد حرها ،

يمعنان في رجاله انها كاً وتعذيباً،فعاد ادراجه بعد ان فقد ا كثر رجاله

....

وتضيق الجزيرة باهلها ، ويشتد الحر ، ويقل الماء ، فيغادرها بعض اهلها الى ما حولهم من المدن العربية العامرة ، ينزلونها فاتحين قاهرين اومزارعين عاملين ، يبدلون معالم المدنيةفي عصرهم ،ويغيرون لون الارض ، ويخلقون حكومة جديدة وشعباً جديداً يخرج منهم بسبب الوراثة وغير الوراثة ، وقد وقعت كل هذه الغزوات العربية على الامم العاملة في اطراف الجزيرة ، يقوم بها بدو الصحراء غير مرة واحدة في التاريخ

وليس هنا مجال البحث فيها وتعدادها ، وقد كان من الحق ان نقول انها كانت مشهداً رائعاً يقع في كل الف سنة مرة ، وكان آخرها خروج العرب المسلمين من جزيرتهم ، يبدلون وجه الارض ، ويخلعون على اديمها حضارة جديدة وعهداً جديداً ، وكان هذا الزحف الاسلامي بعد الف سنة من الزحف السابق ، وهو امر عجيب حقاً ، ولكن ما هو اعجب منه واغرب ، قيام الوهابية بعد الف سنة من فجر الاسلام تعيد الحديث السالف ، وتزحف بدورها على اطراف الجزيرة تحاول حمل الامم والجماعات الضاربة في أكنافها على اعتناق مذهبها والايمان بهديها ...

....

وتظل الجزيرة العربية بعيدة عن مواطن الحضارة والعمران فلا تذكرها الجماعات التي كانت تحكم العالم القديم في ما سلف من اجيال الا غراراً ، واذا هي فكرت بها ، فلا تفكر في غزوها والتعرض لها ، ثم ما شأن هذه الجماعات الفاتحة في ارض ليس فيها من الخير ما يمكن لسكانها من الحياة ..

وتمر الازمنة ، وتمشي العصور ، وسكان الجزيرة لا يتغيرون ولا يتبدلون ، جماعات تغلب عليهم البداوة ، ويعيش اكثرهم عيشة القبائل الرحل ، فلا يتصلون بالارض اتصال المزارع المقيم ، ولا يمكثون في البلد مكوث المقيم العامل ، فهم ابداً يتربصون مواسم الغيث يمشون اليه رجالاً ونساء وغلماناً وشيباً ، وهذه حياة على ما فيها من جهد ومشقة ، قل ان تسمح بقيام الجماعات المتحضرة ، وقل ان تمكن اصحابها من تأسيس حضارة ، وانشاء مدنية

ذلك ان الحضارة لا تقوم الا على الماء ، وليس من ماء في الجزيرة ، وذلك ان الحضارة ثمرة من ثمرات الاجتماع في الحضر ، وهي لا تتفق والحالة هذه وحياة البادية في كيانها ، ثم ان الحضارة فيض جديد متواصل من عمل الانسانية عن حاجاتها المادية والمعنوية والادبية ، وهذا الفيض المتتابع هو الذي مكن للانسانية في ماضيات الايام وحاضرات اعوامها في الارض ، وهو الذي سينقلها في حدود النظام والتقدم الى ابعد مدى ترتجيه نحو الكمال والخلود

ولعل من امتع فصول التاريخ العربي هذا العراك الذي كان يدور دائمًا بين العربي والطبيعة، وبينه وبين غيره من الاعراب ، فقد كان حتماً عليه للوصول الى معاشه ان يجرد سيفه ويخوض غمار الوغى ولظى الحرب ، وهو اذا لم يكن بميسوره ان يذود عن نفسه اضاعها في العراك الاول ، لذلك تراه وقد عودته هذه الحياة القاسية، ان يكون غنياً في خياله وحياته المعنوية ، وانت فيما ترجع اليه من اشعار العرب قبل الاسلام لا تجد فيها غير حديث العربي عن حربه وغزواته و كرمه وامجاده وانتصاراته ، ولكنه الى ذلك كله كان غارقًا في حمأة الضلالة والوثنية، يضطرب في عدة قبائل تنازع بعضها السيادة والحياة حتى الموت

....

وفي وسط هذه الفوضى الهائلة ، والجهالة الغاشمة ، يظهر محمد ابن عبدالله النبي العربي ، يدعو العرب الى عبادة الله الواحد القهار ، ونبذ الاوثان ، والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاتحاد ، ومساعدة الفقير وغير ذلك من الامور التي تمكن للحضارة وتعمل للحياة الروحية ، وترفع مستوى الانسانية الى ابعد حدود الكمال

وما هي الا سنوات ، حتى يتغلب محمد على الجزيرة كلها ، فاذا انتهى الامر الى اصحابه من بعده حملوا لوائه الى اقصى الارض، فدانت لهم الامم والجماعات القريبة والبعيدة ، فقضوا على دولة

الفرس العظيمة ، وحطموا امبراطورية الرومان القوية واكتسحوا القارة الافريقية من المشرق الى المغرب ، وهبطوا على اوروبا، فغلبوا على اسبانيا ، وراحوا يهددون فرانسا واطرافها ، وكان الاسلام في هذه الفترة يستبق الغزاة ، ويمشي مع الفاتحين ، حتى دان به العالم المعروف في ذلك العهد من اقصاه الى اقصاه ، ولم يبق للمسيحية الا اوروبا ، التي اخذ يهددها الترك بعد اجيال ، ويحاولون اخضاعها للاسلام والمسلمين

ونعود الجزيرة العربية الى سيرتها الاولى من الضعف والاستكانة، ما تقدمت الامبراطورية العربية وتبسط سلطانها، وما اقبلت الجماعات والامم المتفرقة الى اعتناق الاسلام ديناً

فقد انتقلت العاصمة الاسلامية منها الى دمشق فبغداد فالقاهرة وغرناطه فالاستانة ، لقد قامت الجزيرة بمهمتها وادلت بوحيها، فاعطت العرب المسلمين ابناءها من الجرأة والقوة والروح ما يمكنهم من الفتوح ، وماوحد صفوفهم ، وشذب اخلاقهم ، ودفعهم الى اكتساح العالم ، فهي والحالة هذه تعود الى ما كانت تنعم به قبلاً من خفيض الصوت ، وضعف الاثر في الحياة الدولية العامة

....

وتمضي الازمنة ، وتسير الاجيال الى مستقرها ، فاذا القرون الوسطى ، والحروب العالمية والامبراطورية البيزانطية حدثاً ماضياً

وامراً غابراً ،

ويأتي جنكيزخان وتيمورلنك فيهدمان من الوان الحضارة القائمة ما شاء الله ان يهدما

واذا الترك يتبسطون ويتقدمون وينشئون امبراطورية عظيمة منيعة ، ثم يمضون في سبيلهم ، وكأن القوم ما كانوا

وفي كل ما ذكرنا من احداث ، لم يكن للعربية من شأن ولا للجزيرة من اثر ، فقد ظل سكانها يعيشون في صحراواتهم عيشة البداوة والفقر والمشقة ، وظلوا الى ذلك كله يحاربون بعضهم بعضاً ، في سبيل الرزق والحياة ، حتى ظهر فيهم محمد بن عبد الوهاب وذلك بعد الف سنة من ظهور محمد بن عبد الله صلوات الله عليه



٢

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

نشأ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن راشد في نجد في بيت تقوى وصلاح ، واخذ العلم عن ابيه ، وكان ابوه عالمًا على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ويذهب بعض المؤرخين الى انه مضرى ، ومن بني تميم ، وان محمد بن عبد الوهاب قد ولد في نجد سنة ١٦٩٦ ميلادية

وطوى محمد بن عبد الوهاب شطراً من حياته الاولى يدرس العلم على ابيه ويتبسط في الوانه ونواحيه ، فاخذ من علوم الفقه والتوحيد بقسط وافر ، وتلقن شتى المعارف التي اتصلت الى نجد واستقامت في ربوعها ، وان كان اكثرها يتصل بالدين ويتعلق به بسبيل وفير ومكين

ولما استقام له من هذه العلوم كبير امر ، راح يطوي الامصار العربية في طلب العلم ، وبحث المعرفة ، فزار دمشق ، ونزل بغداد ، وافضى الى فروق ، وركب البحر منها الى مراكش ، فكان في تجواله هذا يحس بحافز يحفزه الى المناداة بالاصلاح الديني ، والدعوة للرجوع الى القرآن ، وسنة الرسول الاعظم ، بعد ان شاهد بنفسه ضعف

الروح الدينية ، و كثرة ما لحقها من شبهات واباطيل واضاليل ، كسفت نورها ، وحجبت جمالها وروعتها ، فلما رجع الى (العينية) وفيها منازله في نجد ، وذلك بعد وفاة والده ، قام بدعوته الاصلاحية ونادى بالرجوع الى الله ومحمد ، فايده بعض قومه ، وانكره البعض الآخر ، فلما رأى ذلك ادته ألمعيته وذكائه ورغبته الملحة في خلود فكرته ، وانتشار دعوته الى الخروج الى (الدرعية) مقر آل سعود يعرض عليهم مذهبه ، ويطلب مساعدتهم وحمايتهم ، وتأييدهم ، فتقبله محمد بن سعود قبولاً حسناً ، وتلقى دعوته بالقبول وذهب يؤيده بسيفه ، وزعامته ، وقوته رجاله ٠

وكان عبد الوهاب رجلاً صفت نفسه ، وصحت عقيدته ، وحلا ايمانه ، ثم كان الى هذا كله رجل اسفار وتجوال ، وكان من اعذب امانيه ان يطوي ارض العربية ، وان يطل على الافاق والعوالم يمعن فيها النظر ، ويطلب العلم ويبحث عن المعرفة ، و كان في ذلك يساوق ميلاً يحسه في نفسه ، ويشعر به يتسلل الى فؤاده ، وهو ميل افضى به والده اليه ، واورثه اياه ، وكان والده كما اسلفنا رجل تقوى وصلاح وشيخوخة رضية هنية ، جعلت له مركزاً ممتازاً في طول الجزيرة وعرضها

فلما راح يطوي الارض ، ويهبط الممالك ، و يشرف على العوالم الاسلامية في القرن التاسع عشر ، اخذ يستشعر بان هناك فروقاً

عظيمة بين الاسلام الصحيح ، اسلام محمد ، وبين هذا الاسلام المثقل بالطلاسم المليء بالاضاليل والاباطيل ، ذلك ان الاسلام الحديث ، لا يماثل الاسلام الحق الا غراراً ، وذلك ان الاسلام الحق دين صفت اصوله ، وطهرت فروعه ، وذلك ان المسلمين المعاصرين قد اختلفوا في اخلاقهم وصفاتهم عن المسلمين الغابرين وقد كان طبيعياً ان يقفل عبد الوهاب الى بلاده مضطرب الفكر ، مشتت الخاطر ، مظلم الوجه ، مستنكراً هذا الذي رأى ، وكان حقاً عليه ان يدعو مواطنيه الى انكاره ونبذه ، والعودة الى اسلامية لا تشوبها شائبة ، ولا تضطرب فيها اضاليل واباطيل ، وزاد في استنكاره ما شاهده في مكة والحجاز ، لما نزله زائراً باحثاً ، ان يرى الاسلام غريباً في موطنه ومبعثه ودار كرامته ، وروّعه ان يبدو هذا الدين اللطيف الجذاب في انماط لا تعرف الانسجام ، وهو الدين البسيط الذي يقرر حق كل انسان في مخاطبة ربه دون ما وسيط ولا قيد ، والذي يقرر الاخوة بين كل اتباعه وانصاره لا فرق في ذلك عنده بين عجمي وعربي ، ولا بين كبير وصغير ، وهاله ان يشاهد هذا الاشراك الجديد في الله ، يسير سبيله بين المسلمين في الوان وطرائق ليست من الاسلام في شيء ابداً

فلما اشرقت سنة ١٧٣٦ من الميلاد مشى عبد الوهاب ينادي قومه بالرجوع الى الرسول في ما امر به ونهى عنه ، وذهب يثيرها

حرباً شعواء على اشباه المسلمين وانصاف الملحدين ، واندفع يقول بالرجوع الى القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ، وذهب يهاجم الوثنية الممثلة في عبادة القبور ومن تحت القبور ، فلقي في دعوته نكراً ونكداً ، ووجد في قومه عنتاً وجفاءً ، فغادرهم الى الدرعية مقر آل سعود كما قدمنا ، يستنصرهم ويطلب تأييدهم ومعونتهم ، فاحمسهم ووقعت دعوته في نفوسهم موقع الرضى والقبول ، فكانوا اول الناس ايماناً ولدعوته تأييداً ، ومنذ ذلك الحين لقي عبد الوهاب في آل سعود اشرف الزائدين ، واحسن المؤيدين ، فنمت رسالته في ظلهم ، وامتدت دعوته تحت فيئهم ، وزاد في رواء هذه العقيدة وكبير خطرها ، وعظيم اثرها ، انها جاءت ضماناً للروح القومي والديني معاً ، وانها اوحت الى آل سعود فكرة الوحدة العربية ، والعودة بالاسلام الى عصوره الزاهرة ، وامجاده الغابرة .

....

وكذلك يجد الاسلام بعد الف سنة خلت على مبعث الرسول الاعظم روحاً جديدة تضطرب في ثوب المجاهيل من انصاره ، والكماة من حماته ، والبهاليل من اعوانه ، وتجد جزيرة العرب بذور الوحدة العربية تسير سبيلها على شفار سيوف الابطال من آل سعود ، وما هي الا اعوام قليلة حتى كانت الدعوة الجديدة قد اخضعت نجداً وبعض اطرافها ، واخذت تعصف بالصحراوات فتثيرها طرباً ، وتهزها

ناراً، ثم لم تلبث هذه الفكرة الصالحة التي نشأت في قرية صغيرة من قرى الجزيرة ان استطارت الى اقصى العالم الاسلامي ، فتطلعت اليها شعوبه وامه ، مما اثار هواجس الترك ، وافاقهم ، فنذروا ان يحاربوا ال سعود والوهابية حرباً تنتهي باطفاء هذه الجذوة ، واخماد هذه الشعلة ، التي كان يخشى ان تعم العالم الاسلامي فتخلقه خلقاً جديداً لا يكون فيه لجهلة المشايخ وفسقة المسلمين كبير امر ، وعظيم اثر .

....

والواقع ان دعوة عبد الوهاب ليست غير دعاية صالحة موفقة لنبذ البدع والمفاسد التي لحقت بالدين الاسلامي ، والتي عمل بعض المشايخ على الترويج لها وذيوعها وانتشارها بين الناس

واذا ذهبنا نبحث الدعوة في مصادرها ، ونتولاها بالنقد والبحث والتحقيق ، وجدنا انها لا تختلف عن مذهب الامام احمد بن حنبل الا في بعض التبسط والتطويل ، وقد يكون سبب هذا التبسط والتطويل اتباع الامام احمد من امثال ابن تيمية وابن القيم ، لان الوهابية تضم كثيراً من آرائهما ، وهي دعوة قد عادت بالنفع العظيم على الحجاز ونجد اذ اماتت كثيراً من البدع ، وقضت على الوان من الضلالات .

وليس للوهابيين مذهب خاص يدعى باسمهم كما يقول بعض

الحاملين عليهم ، وانما مذهبهم مذهب الامام احمد بن حنبل ، وليس في ما يطلبونه ويدعون اليه ما ينافي السنة ، ولا يتفق مع القرآن الكريم ، وهم ينكرون هذا التضليل الذي يحاوله بعض الشيوخ وغير الشيوخ ، وهذا الاغراق في اقامة القباب حول الاضرحة والقبور والصلاة فيها ، واقامة المباخر ،وطلب الشفاعة من اصحابها ،والاسلام ينكر هذا او ينهي عنه ، وليس في الاسلام وسيط بين الانسان وربه ، وليس هناك من يشفع عنده الا باذنه ، وقد كتب شيخ كبير من شيوخهم لما سئل عن عقيدة الوهابية يقول : « اننا ندعو الناس الى اقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع ، وايتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، ونأمر بالمعروف ، وننهي عن المنكر » وهذه هي كل شعائر الاسلام ، وما عداها فباطل وتضليل

....

ولقد وفقت الوهابية ، بما مكنها الله به من قبول آل سعود لها ، الى اقتحام نجد كلها ، ونجد الواقعة في قلب الجزيرة بلاد فيها ماء وخضرة وزراعة حسنة ثم هي قلب الجزيرة ، ومن يملك القلب لا يستحيل عليه امتلاك الاطراف ، خصوصاً وسكان نجد قوم ذوي جرأة وقوة وبطش في شيء كثير من العنف وعدم المبالاة ، وفي وسط نجد وفي احد الاودية تقوم الرياض العاصمة الجميلة

وكان سعود امير الرياض والدرعية اميراً مقداماً طموحاً ذكياً ، فلما استبان له وضح الحق في دعوة محمد بن عبد الوهاب ايده وقربه وتقبل دعوته ، وزاد ندى فذهب ينشر هذه الدعوة ويؤيدها بسيفه ورجاله ، وقد القي في روعه انه عائد بالجزيرة والاسلام الى صفائه الاول ، وبساطته الطريفة الجميلة

وكان النجاح سريعاً بليغاً قوياً ، فتطهرت (الدرعية) من البدع والضلالة ، وتخطت الدعوة حدودها الى نجد فاقتحمتها طولاً وعرضاً ، وعادت الى الاسلام طرافته السالفة ، وبساطته الرائعة ، وعاد الناس يعاودون ايام الاجداد الاول من رجوع الى القرآن ، واقامة الصلاة ،وايتاء الزكاة ، ونبذ الاشربة والدخان ، ورفض البدع والاضاليل ، والايمان بالله ايماناً لا شرك فيه ، ذلك ان الصلاة عند اضرحة الاولياء ، وتكلف شفاعتهم لدى الله في ما يريده الانسان من امر لم يكن الا شركاً رقيقاً شفافاً انكره الاسلام ، ونهى عنه سيد العرب محمد بن عبدالله، وتطوي الدعوة الجديدة الجزيرة فتتقبلها القبائل الواحدة بعد الاخرى ، فيعظم شأن سعود الاكبر ويتقدم على رأس رجاله الى ما حول نجد واطرافها من مدن وامصار وقبائل وجماعات ، حتى دانت له اكثر امصار الجزيرة ، وحتى ذهب ينكر حق الخليفة العثماني في حكم ما دان له من امصار

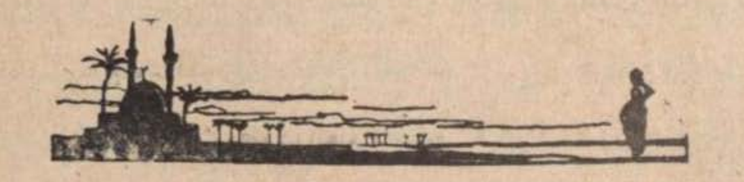
وجماعات،وفشا شأن الوهابية وخطرها بعد ذلك بسنوات ، وفي ايام خلفاء سعود وعبد الوهاب فهبطوا مكة ، واقتحموا كربلاء واندفعوا الى الحدود السورية ، حتى وصلوا الى اطراف الشام ، فافاقت (فروق) عندئذٍ الى الخطر الداهم ، واصدرت امرها الى محمد علي حاكم مصر بالنزول الى الجزيرة ومحاربة الوهابيين في عقر دارهم ، فوفق هذا في ما كلف به ، واجلى الوهابيين عن المواطن التي نزلوها فاتحين ، حاربهم فصدهم واثخن فيهم ودخل عاصمتهم فاتحاً، وارسل كبيرهم اسيراً الى القسطنطينية حيث قتل فيها ، ثم عاد ادراجه الى ضفاف النيل مكللاً بالنصر ، مليئاً بنشوة الفخار

وبذلك تنتهي صفحة من امجد صفحات البطولة العربية ، فقد اراد سعود الاول وابناءه من بعده ان يخلقوا الجزيرة خلقاً جديداً ، وان يعيدوا ما اندثر من آثارها ، وانهار من امجادها وفخارها فلم يوفقوا ، وعادت الجزيرة بعد هذه المعركة التي اصطدمت فيهاجنود الحضارة بجنود البداوة الى حالتها السالفة : من تفرقة ، وتشتت وتمزق ، وعاد الدين مطوي المعالم ، مهدم الاطراف ، وراح سكانها يعيدون حديثهم السالف ، من شن غارة ، وسبي قافلة ، وبحث عن الكلاء ، وطي الارض في سبيل الماء ، وليس يضطرب في اماني واحدهم شريف غرض ، ولا كبير امر

اما نجد مهد الوهابية فقد اصابتها الحرب بالنصيب الاوفر ،

من التخريب والتدمير ، وكان السيف قد نال من آل سعود اكثرهم بحيث لم يترك الا اقلهم ، وكان الترك في الفترة التي تستبق فجر هذا البحث قد اطلقوا سراح الامير عبد الرحمن سادس ابناء سعود فعاد الى الرياض بين اخوانه وانصاره واعوان آبائه واجداده ، وكانت الجزيرة في اواخر القرن التاسع عشر ممزقة الاطراف ، محطمة القلب دامية العين

في هذه الفترة وفي صباح يوم من ايام تشرين الاول سنة ١٨٨٠ ميلادية ، رزق الامير عبد الرحمن فتىً عربياً اسماه عبد العزيز حتى إذا استوى سيداً ضخماً ، اسماه انصاره ابن سعود تيمناً باسم جده الكبير العظيم



٣

آمال ضائعة ! !

هذا اديم نجد كتاب لا كفاء له

جم المفاخر باق منه عنوان

وكذلك نشأ ابن سعود في ناحية من القصر في الرياض ، وبين والديه واهله واخوته ، وليس لوالده ولا لأسرته من الامر شيء ، فينشأ الفتى كئيباً حزيناً يحس ان في الافق شيئاً ، وان في فؤاد والده اموراً ، وان الايام والدهر قد تعهدا اسرته بالجد العاثر والحظ الفاشل

لقد كان القصر بناء عظيماً ، انتظمت محاجره واقاصيره دون ما نظام ولا ترتيب ، فانت تحس حين تدخله في شيء من الروعة وان كان بعيداً عن الجمال ، غريباً عن الطرافة

وتمضي الايام فيدفع الفتى الى العبيد والخدم يتعهدون شؤونه ويتوفرون على خدمته ، والمحافظة على حياته ، وبعد ان كان اقرب الى والدته من نفسه ، اصبح يزورها غراراً ، ويقصد مقصورتها لماماً ، وسبب ذلك ان العادة عند العرب كانت تقضي بعزل الفتيان على مقصورات الحرم ما تقدم هؤلاء في السن ، واشرفوا على سن

الرجولة والشباب

ونشأ مع الفتى عبيد مثله شباباً وفتوة ، لاعبوه وهم صغار ، وحفظوه وهم كبار ، فكانوا اكثر جنده له اخلاصاً ، واعظمهم عنه دفاعاً ، وبه ايماناً وحباً

وكان والده عبد الرحمن شيخاً جليلاً واماماً للوهابية ، شديداً في دينه ، مخلصاً في عقيدته ، وكان يحكم جماعته بشدة لا تعرف الهوادة ، والوهابية في الواقع شيء اقرب الى الزهد والتقشف في الوان الحياة منها الى شيء آخر ، فقد كان العبث والدعابة والضحك عندهم شيئاً مكروهاً ، وكانت ملذات الحياة امراً ممنوعاً ، يعبدون الله وحده لا شريك له ، ويمعنون في عبادته امعاناً ليس فيه هوادة ولا رحمة للنفس ، والله سبحانه وتعالى رحيم محب لعباده ، ما كانوا الى مرضاته اقرب ، وعن مناهيه ابعد ، وكانوا الى ذلك كله يعتقدون في انفسهم خلوص العقيدة ، وبرائتها من البدع والخرافات وانهم شعب الله الخاص ، من واجبهم حمل الناس على الطريقة المثلى والسبيل القويم ، ولو كان ذلك بالسيف والدم

وكان الشيخ شديداً على بنيه مثل شدته على نفسه وانصاره ، فارسل فتاه ابن سعود الى المدرسة في الرياض ، وسيره بين الناس وهابياً شديداً زاهداً ، فلما بلغ الفتى السابعة من عمره كان لا يترك صلاته ، ولا يفارق مسجد الله ، يصوم ويصلي ، ويأمر بالمعروف ،

ويقرأ القرآن ، وكان الشيخ قد افضى الى بنية بواجبهم ، وتحدث اليهم بتراثهم الغابر ، وان عليهم قرع ابوابه الضخمة ، واعادة مجد الوهابية السالف ، والعودة بالعرب والمسلمين الى عهد السلف الصالح ، وتراث الخلفاء الراشدين ، والزم فتاه القسوة على جسمه ونفسه ، فكان يبعثه تحت الشمس القائظة الى خارج الرياض ، وكان يأمره بمغادرة فراشه قبل شروق الشمس ، والمسير في منتصف النهار على الرمال الحارقة عاري القدم ، يحاول من ذلك كله ان يجعله قوياً شديداً

.....

لقد كانت الحياة في هذا العهد الذي نروّج لوصفه وتاريخه شديدة قاسية مضطربة ثائرة ، كان الفتى لا يعرف عن الجزيرة امراً ، ولا يدرك من اسرارها وطراً ، وكانت البلاد خارج الرياض مليئة بالغزوات ، مضطربة السبل ، لا يأمن راكب المسير فيها ، ولا تفكر قافلة بالسير على اديها

وكانت قبائل شمر العاتية تمتد مواطنها الى شمالي الرياض ، وكانوا قد اصبحوا وحدة عسكرية قوية تحت قيادة محمد بن الرشيد الذي جعل حايل عاصمة له ولجماعته ، وتمكن بعد سنوات من السيطرة على الرياض والتحكم بالقبائل النجدية ومزارعها وقراها ، بعد ان فتك ببعض السعوديين وقتل محمد بن السعود واسر عبدالله شقيقه ،

وحمله معه الى حايل ، ولكنه ترك عبد الرحمن وشأنه ، وسمح له بالسكنى في القصر الرياضي ، لما اشتهر عن عبد الرحمن من تقوى وصلاح وحب للسلم ، و بعد عند المنازعات والثورات ، ولما كان له من تأثير وشأن عند الوهابيين

وبمقتل محمد بن السعود ، وموت عبدالله بعده في الامر ، اصبح عبد الرحمن بن سعود سيد الوهابيين وزعيمهم ، وكان عبد الرحمن كما قدمنا شيخاً امتلأت نفسه الثائرة في اعادة مجد الوهابية السالف ، فلما افضى اليه الامر ، ذهب يدعو للثورة على آل الرشيد ، واخذ يجمع الاتباع ، ويوحد بين القبائل ، واحس ابن الرشيد برغباته فاصدر امره الى وكيله في الرياض واسمه (سليم) ان يقضي عليه وعلى العائلة كلها

وذهب سليم يدعو الذكور من آل سعود كلهم الى جناح في القصر ، يروج بذلك الى رغبة افضاها اليه ابن الرشيد بخلع الخلع عليهم ، وغمرهم بالهدايا والمال ، واحس عبد الرحمن بالخطر فذهب الى القصر في جمع من اتباعه وعبيده وكلهم بالسيوف ، فلما دخل سليم وجماعته اليهم وسأل عبد الرحمن عن الذكور من ابنائه ، اشار هذا الى جماعته ، فاعملوا السيف في رجال ابن الرشيد ، واسروا سليماً ، وكان ابن سعود وهو ما يزال فتى صغيراً يشاهد المعركة في باحة القصر عن كثب ، ولأول مرة في حياته رأى الدم يسيل

الى الارض ، وابصر الموت يغمر اعداء ابيه واسرته

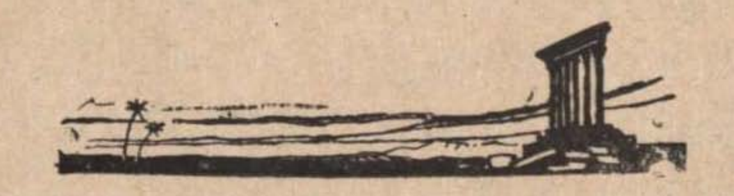
وعندئذ اندلعت الثورة في الرياض فهب سكانها يطردون جماعة ابن الرشيد ، وذهبوا يعتصمون في عاصمتهم ، ويقيمون حولها العمد والحجارة ، وايدهم من حولهم من سكان المزارع والقرى ، بيد ان القوة التي جمعها عبد الرحمن لم تكن من القوة والبأس بحيث تستطيع الوقوف امام رجال ابن الرشيد طويلاً ، فاضطر بعد معارك وحروب الى الهرب بنفسه واهله من الرياض الى صحراوات العربية يبحث فيها عن موطن يعصمه من ابن الرشيد ، وجماعته ترد عنه حاديته ونقمته

ولقد افضى به تجواله الى قبائل العجمان ، فتقبلوه برغمهم ، لان الواجب كان يقضي عليهم برعاية الضيف واجارة الطارق ، ولكنهم كانوا قوماً لا يؤمن شرهم ، ولا يوثق بجوارهم ، فما لبث عبد الرحمن ان غادرهم ، وارسل عائلته الى البحرين ومعهم ابن السعود الذي كان مريضاً في ذلك الحين ، ثم ذهب يطوي الجزيرة يبحث عن الانصار والاعوان تساعده في دفع ابن الرشيد عن الرياض ونجد فلم يوفق وحاول مرة في جمع من انصاره مهاجمة الاطراف النجدية فرده رجال ابن الرشيد فاشلاً ، وعندئذ ارسل يطلبه الحاكم التركي في الحساء ، ويعرض عليه مساعدة الترك له على محاربة ابن الرشيد شرط الرضاء بسيطرتهم على نجد ، والرضى ببقاء فرقة عسكرية منهم في الرياض

فاغلظ عبد الرحمن للحاكم التركي في الجواب ، وقال له : انما اعمل لحرية بلادي لا لاذلالها

وكان جوابه هذا باعثاً على مطاردة الترك بدوهم له ورغبتهم في القضاء عليه ، فاضطر عندئذ الى الالتجاء الى الجزيرة نفسها، واخذ معه ابنه ابن السعود الذي كان قد ابلّ من مرضه ، وذهب الى (الربع الخالي) يقصد فيه قبائل مرة التي تسكنه وتتحكم في مواطنه.

والربع الخالي موطن لا يقصده البدو من اعراب الجزيرة الا غراراً ، ولا ينزله طارق الا نادراً ، لما فيه من مشقة ونصب ، وقلة ماء ، وندرة آبار



٤

آل سعود في الكويت !!

لقد قصصت على القاريء حديثاً عجباً، وطويت له في الصفحات الماضية من اخبار هذا المطاف الكادح في الجزيرة العربية خيراً كثيراً حتى استقر بابن السعود مطافه في بني مرة في الربع الخالي، بينما كانت العائلة لا تزال في البحرين، ولم يكن مع عبد الرحمن غير ولديه ابن السعود ومحمد، وابن اخيه جلوي، الذي كان شاباً قليل الكلام عظيم الجرأة، لا تندبه لأمر الا طار اليه باسماً ثابتاً !!!

وكانت الحياة عند بني مرة وفي الربع الخالي شديدة قاسية، فلم يكن هناك منازل ولا قرى، ولا كان هناك زراعة وماء؛ وانما كانت مرة تمشي الى الماء مشياً، وتقصد الكلاء دوماً، وهي حياة كادحة ثقيلة الوطأة، قاسية شديدة، خصوصاً على آل السعود الذين كانوا لا يفكرون بانفسهم، وانما يفكرون بتراثهم، وانصارهم واعوانهم، من الذين استعبدهم ابن الرشيد، وقد ولدتهم امهاتهم احراراً

ولكن هذا الحلم الذهبي الذي كان يطفو على آل سعود من حين لآخر، كان بعيد التحقيق وهم في حالتهم الحاضرة، من قلة

الانصار ، وضعف القوى ، وتشتت الشمل ، والانقطاع عن الاهل فكانوا لسبب ذلك يسكتون على مضض ، ويحاولون الاطمئنان لحالتهم الكادحة اطمئناناً فيه امل وفيه اشفاق ونصب كثير

وكان ابن سعود قد اخذ نفسه ان يساوق بني مرة في حياتهم البدوية ، فكان يشاركهم في غزواتهم وصيدهم ، ويتعلم منهم حياة البداوة الاولى ، وكانوا اعرق العرب في البداوة ، ويدرس على كبارهم تعقب الاثر ، وترويض الفرس ،وتذليل الهجين ، وكيف يستطيع السفر اياماً دون ما زاد الا الاقل من الحليب والتمر

وفي هذه الاثناء ، وبينما كان ابن سعود يهيم على وجهه مع بني مرة في مفاوز الربع الخالي الرملية، كان (وبليام كنوت دارسي) وهو استرالي الجنس ، يطوي الارض في رمال فارس الجنوبية، متعرفاً على الهياكل القديمة ، والآثار البائدة ، التي كان الفرس القدماء يتعبدون فيها الى النار الشاعلة في الصحراء ، والتي كان هذا الافاق على مثل اليقين من انه يجد تحتها الثراء والمال ، مما يدره البترول والنفط ، وقد عبدها كهنة المجوس آجالاً وآجالاً ، عقيدة منهم انها اصل الاشياء ومردها ،وما كانت في الواقع غير آثار النفط والبترول ، وقد ادرك الروس سرها ، ففزعوا الى استخراجها من مكانها ومواطنها بجوار بحر قزوين الفارسى فأثروا وحسن حالهم ، وقد وفق الاسترالي الى غايته فاكتشف مواطن هذه النار حول المحمرة وفي

اراضي الكويت ، وادرك الانكليز بدورهم اهمية النفط في مستقبلات الايام ، فاطمأنوا الى ابحاث دارسي هذا ، وخولوه الحق في استثمار ينابيع البترول ، وما هي الا الايام تساير الشمس من مشرقها الى مغربها ، حتى كان الانكليز قد وضعوا يدهم على ثروات البترول المكنوزة في الاراضي القائمة حول الخليج الفارسي ، وما كادت الحكومات الاخرى تعلم بخبر اكتشافات دارسي هذه ، حتى ارسلت عمالها يبحثون ارض الجزيرة ، فاكتشف قس انكليزي يسمى (هوارد) مواطن البترول في بابل القديمة ، من ارض العراق ، ونشط كل من الاميرال كولبي الاميركي وغيره الى التنقيب والبحث ، فاصبحت البلاد العربية موطناً يصح الاهتمام باخباره ، والتعرف على آثاره ، والبحث عن كنوزه .

....

وكان عبد الرحمن بن سعود قد ملّ الاقامة مع ولديه وابن شقيقه ، في بني مرة ، ولم تعجبهم حياتهم لابتعادهم عن اصول الدين وافعال السلف ، وكان الى ذلك كله ، قد اوغل في السن ، واشتط في العمر ، بحيث اصبح شيخاً مثقلاً بالاعوام ، يفضل الحياة الهادئة بين اهله وولده ، والنظر في امرهم ورغباتهم ، وما يستطيع من عمل لمنفعتهم ومستقبلهم .

وكثيراً ما كانت تنازعه نفسه الى الثورة ، وطي الارض الى

نجد ، يثير في اهلها روح العصيان والحرب ، ثم يحمل بهم على آل الرشيد ،فينتزع منهم مواطن اجداده وقد راح يتحدث يوماً الى بني مرة بأمره هذا فلم يوفق الى اقناعهم ، فحول دعوته الى رجال القبائل وزعمائهم يطلب اغاثتهم وجوارهم، فهابوا اغضاب ابن الرشيد والثورة عليه ، حتى يئس عبد الرحمن من اقناعهم ، ووقر في ذهنه انه مقضى عليه ان يسلخ باقيات ايامه في البوادي ، وفي هذا الاديم الاجرد .

وفي هذه الاثناء لمع نجمه فجأة ، فقد جاءته دعوة من امير الكويت يسأله فيها زيارته والنزول في بلده ، ويعده ان يجري عليه وعلى عائلته معاشاً حسناً ؛ وكان سبب ذلك ان الترك عادوا الى الاهتمام بمصيره ، بعد ان فشأ امر ابن الرشيد ، وغلظ شأنه ، فتوسطوا امير الكويت الذي كان عدواً لابن الرشيد في مصالحة آل سعود ، ودعوتهم اليه ، وانزالهم في منازله

وفي سنة ١٨٩٦ كان عبد الرحمن بن سعود يقيم مع اسرته في منزل في الكويت بجوار الميناء ، وكان المنزل صغيراً ،عليه من التواضع طابع عظيم ، اذ لم يكن يحوى اكثر من غرف ثلاث .

....

وكانت الكويت في ذلك الزمن اصغر مدن خليج فارس ، ولكنها الى جانب ذلك كانت غنية جداً تجني ارباحاً عظيمة من

اتجار اهلها باللآلي والسلاح وصنع القوارب وغيرها ، وكان العالم يجهل امرها ولا يعني بها ، غير ان مبارك بن الصباح الذي اغتصبها عنوة واقتداراً قد نقلها من حال الى حال ، وساعدته الايام في ذلك اذ كان عصره الذي عاش فيه عصر النزاع القائم على البترول بين الانكليز والالمان ، وكان الالمان في ذلك الزمن يعملون لانشاء خط بغداد ليستندوا اليه في تأسيس امبراطورتهم الشرقية ، وكان من همّ الروس ايضاً ان يذهبوا في منافسة الالمان لحيازة البترول الى اقصى حدود المنافسة ، فبذلوا كثيراً من النشاط لدى الترك ليحصلوا على امتياز يمكنهم من ربط البحر المتوسط بالاوقيانوس الهندي ، وكان لا معدى للروس من تحقيق هذه الاماني ان يتنكروا للالمان فنشب بين برلين وبطرسبرغ نزاع شديد على امتلاك الاراضي ، وكان كل فريق يطمع في الحصول على امتياز يساعده على مد الخطوط الحديدية ، رجاة ان تكون هذه الخطوط في مستقبل الايام وسيلة لفتح ابواب الاناضول وابواب العراق المملوءة اراضيه نفطا وبترولا ، وكان الفريقان يهتمان بمد هذه الخطوط الى الكويت «مارسيليا الخليج الفارسي» ولكي يصلا الى هذه النتائج اخذا يتقربان من امير الكويت

وكان ابن الصباح سياسيا بارعا فرأى ان الحكمة تلزمه بان يدفع الروس الى معاداة الالمان ، فان سياسة فرق تسد ، كان لها اثر

عظيم عند سياسيي العالم العربي ، كما كان لها مثل هذا الاثر عند سياسيي اوربا ، ولكن مبارك بن الصباح كانت له اطماح عظيمة جعلته يفكر قبل كل شيء في الاستيلاء على الاراضي التي كانت لا تزال تحت رقابة الترك وفي حيازتهم

واهم هذه الاراضي التي كان الامير العربي يطمح في الاستيلاء عليها وضمها الى امارته الصغيرة ، مدينة الحسا ومدينة البصرة عروس شط العرب ، ولكن الانكليز الذين لم تفتهم اطماع امير الكويت كانوا قد ارسخوا اقدامهم في جزيرة البحرين وهي التي تسيطر بموقعها الجغرافي على ابواب الحسا ومنافذها ، و كانت صلاتهم مع سلطان مسقط العربي صلات ود وصداقة ، ولا يخفى ان لمسقط موقعا جغرافيا ممتازا يتسلط على مداخل الخليج الفارسي بامره ، فهذه الامور كلها جعلت ابن الصباح امير الكويت يبني سياسته على التفريق بين الترك والانكليز ، ولم ير من سبيل للوصول الى تحقيق غاياته من التساهل حيال الفرنسويين الذين كانت لهم مصالح هامة وخطيرة في الخليج الفارسي وفي البحر الاحمر ، وحينما كان ابن السعود نازلا في الكويت رست مدرعة فرنسوية في مياه مسقط وجعلتها قاعدة لاستيراد الفحم على الرغم من صياح لندن وايغالها في الاحتجاج

وفي سنة ١٨٩٦ وافق البرلمان الافرنسي على جعل مرفأ الشيخ سعيد مستعمرة فرنسوية ، ويقع هذا الميناء على شواطيء اليمن وله

اهميته الكبرى من الناحية العسكرية لانه يتسلط على البحر الاحمر وعلى طريق الهند

وفي السنوات الخمس التي قضاها ابن السعود في الكويت كان النزاع على اشده بين العمال الافرنسيين والروس والالمان والانكليز وبين الشيخ مبارك امير الكويت ، والواقع ان ابن السعود قد تربى في الكويت ففيها ظهرت مواهبه وبرز ذكاؤه ، ولقد خرج هذا الامير العربي من الربع الخالي الى الكويت كماسة شديدة القساوة ولكنها تضيء وتبرق ، فما ان احتوته ارض الكويت واطل على الصراع القائم بين العرب والترك والانكليز والالمان على ميراث العربية ، حتى ادرك ما كان يجهله ، وتفهم الكثير من اغراض السياسة واحابيل المصالح العالمية المالية ، وعندئذ فتح قلبه لفهم كل شيء ، وانكشف له ما يراد بهذا الشعب العربي الذي خرج منه ، اذا هو بعد طول الدراسة يخرج الى الناس في الجزيرة ، وهو من اعلم الناس باطماع الدول واغراض الشعوب الغربية

• • • •

و كان مبارك الصباح شقيق امير الكويت قبل ان ينادي بنفسه اميراً على الكويت ، يعيش في بومباي بعد اختلافه مع شقيقه عيشة فيها كثير من الترف والبذخ ، حتى نفذ ما معه فركب البحر الى الكويت ، واخذ يكثر من زيارة آل سعود في منزلهم ، و كان شقيقه

يكرهه ولايحبه لما يراه من تبذيره وبذخه ، و كان كذلك يخافه ويخشاه لما يراه من حب الناس له ، فذهب يرفض مايطلبه منه من مال،واغرق في الامر فذهب يوءذيه ويسخرمنه ما كان الى ذلك سبيل

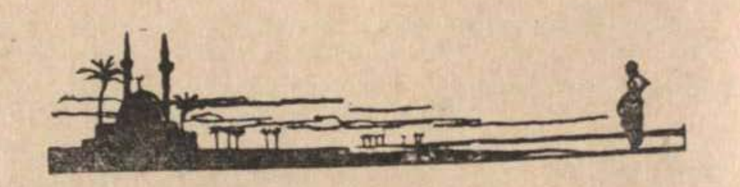
و كان مبارك يحب ابن السعود ، فكان كثيراً ما يدعوه الى الاجتماع به في منزله ، ويتحدث اليه في مواضيع السياسة الاوربية ويشرح له واجب العرب نحو الدول الاوروبية ، و كان ابن السعود تلميذاً ذكياً تعلم من استاذه كل احابيل السياسة واحابيلها ، ووفق الى تفهم الحالة الحاضرة في جزيرة العرب كل الفهم ، كما فطن الى واجباته نحو وطنه وبلاده وازداد معرفة باسرار السياسة الاوربية في بلاد العرب ، بما كان يقصه عليه استاذه من حوادث واخبار كانت تجري بينه وبين جواسيس الالمان والانكليز

و كذلك تعلم ابن السعود التلميذ الماهر على أستاذه البارع طرق المفاوضات واساليب المحادثات ، و كيف ينبغي ان يكون التسويف والمطل، بغية احراز الوقت و الاستفادة من الزمن لان الصبر من اظهر ادلة النجاح في العمل السياسي ، و كان ابن سعود يرى بعيني ابن الصباح ان البلاد غنية وان الدول العظمى لا تطمع في الاستيلاء عليها الا لانها ذات ثروة

وكان ابن سعود يخرج في الغالب من القصر الى الميناء فيرى الى صيادي اللالئ ويجتمع اليهم ويستمع لاحاديثهم مع التجار الوافدين

من اقصى الهند ومن الشرق ، فلم تمض عليه شهور حتى استفاد من اختلاطه بالناس على شاطىء الميناء ، مثل الذي استفاده في حياته بالقصر اذ قدر له ان يتعرف الي امور جزيرة العرب ، لان القوافل القادمة من نجد واليمن والحسا والحجاز كانت تحط رحالها في الكويت و كان ابن السعود يختلط برجال القوافل ويستقبلهم في القصر

وفجأة ، ولما اصبح ابن السعود في السابعة عشرة من عمره ، تغير كل شيء فقد مشى مبارك الي قصر شقيقه مع عصابة من انصاره فارداه وحل مكانه ، واستقبل الناس حكمه بسكون وهدوء لما سبق واشرنا اليه من حبهم له ، وشدة شقيقه عليهم .



٥

شيء من الفاقة وكثير من الامل

كانت الاسرة السعودية في الكويت معرضة الى معاناة حياة شديدة من فاقة وقلة مورد ، ذلك لان الترك كانوا في اكثر الاحايين يمتنعون من دفع الرواتب المخصصة لامير الكويت، فكان هذا بدوره لا يدفع لآل سعود ما وعدهم به من راتب شهري ، وما كانت العائلة تملك الوسائل اللازمة التي تمكنها من الحياة في بحبوحة من الخير والوفر ، فكان عبد الرحمن يجد جهداً عظيما في اعالة عائلته الكثيرة العدد ، حتى اضطر غير مرة الى الاستدانة

وكانت الحياة في المنزل ثقيلة ضيقة ، فقد كان المنزل لا يضطرب في غير غرف ثلاث ، وكانت العائلة كثيرة بحيث كانت الغرفة تضيق بسكانها ، مما كان يجد معه آل سعود نكداً شديداً ، حين يذكرون قصورهم في الرياض ،وما كان يتوفر لهم فيها من خدم وحشم وعبيد ٠

ولما اشرف ابن السعود على الخامسة عشرة من عمره اختارت له والدنه فتاة عربية يتزوجها ، وعندئذ احست العائلة ان المال ينقصها لانفاقه على عرس يليق بكرامتها وشرفها وخطرها بين القبائل ،فتأخر

الزواج ، حتى تقدم تاجر نجدي فعرض ما لديه من مال ينفق في عرس الامير الشاب ، فافضى هذا العمل الى حزن عميق ملأ قلب الوالد اسى وحزناً ، ولكنه تقبل الامر الواقع وحمد الله

وشاء قضاء الله ان لا يستمر ابن السعود مع زوجه اكثر من ستة اشهر ، فطواها الموت ، والتاع الفتى لموتها لوعة هدت من صحته ، ثم تعاقبت الايام والشهور على هذه الفاجعة فتزوج الفتى من امرأة ثانية وهب الله له منها غلاماً اسماه (تركي) وقد سر الامير الشيخ عبد الرحمن به كل السرور ، واخذ يكثر من التفكير به وبمصيره .

ويغمر الامير الفتى التفكير ببلاده ومواطن اجداده ، وكان قد طوى ارض الجزيرة منذ نشأته هائماً على وجهه ، مثقل الهم ، حائر الاغراض ، وكان ينظر الى حالة اهله في الكويت فيرى انها كثيرة الشظف شديدة النصب ، فيعود بالفكر الى ارض اجداده وآبائه ، يعلم انه لا خلاص له وعائلته الا بالنزول فيها والرجوع اليها .

وكذلك كانت العائلة كلها تنتظر الفرص ، وهي مليئة بالامل بان الله لن يخذلها ، وانها عائدة الى بلادها ، تتقدمها الرايات ، وتمشي الانتصارات من قدامها وخلفها

وكانت اول بوادر هذه الفرصة السعيدة يوم لقي امير حائل وزعيم آل الرشيد مصرعه وحمامه ، وهو الرجل الشديد الذي

اوغل في نجد وافتتح الرياض ، ونادى بنفسه سيداً على جزيرة العرب ، فلما علم ابن السعود بمصرعه ، طار فرحاً ، واسرع بجمع اليه بعض انصاره ،وجاءته الاخبار بان النجديين على استعداد لنصرته ، فطار بمن معه الى اطراف الرياض ، و كان قليل الانصار ، ضعيف السلاح ، فرده رجال ابن الرشيد مخذولا ، فعاد الى الكويت يائساً ، وفقد ناقته في بعض الطريق ، فالتقطته قافلة ولولاها لطوى الجزيرة مشياً على قدميه ، ولما استمعت الكويت الى حديثه وزحفه ضحكت كثيراً ، وعبثت حولا

كان آل الرشيد يتصرفون في امور الناس في اكبر قسم من جزيرة العرب ،و كانوا في نفس الوقت حلفاء وانصاراً للترك ،ولكن هؤلاء الذين دانت لهم البوادي ما كان لهم منفذ على شاطئ البحر وكانوا يأتون بالسلاح والذخيرة من ساحل الكويت ، هذه المدينة الواقعة على طرق تمس حياة آل الرشيد كانت تدين لابن الصباح السياسي العربي البارع والامير الذي ما كان ينظر نظرة اطمئنان الى صلات حايل بالترك ، ولم يكن هذا الشعور غريباً عند آل الرشيد فانتهزوا الفرص وازدادوا تقرباً من الترك ، حتى لقد دعوهم الى حصر امير الكويت في قلب حدوده ، وقد فاتهم لبعدهم عن اساليب السياسة ان وراء مبارك دولة اخرى هي اقوى سلطاناً من سلطة الترك المنهارة دعائمها ، ورأيناهم يجهلون

وجود المحالفة بين انكلترا والكويت ، ورأينا امير حايل الجديد لا يفكر في عواقب الامور ومغالق السياسة ولوفكر هذا الامير في حقيقة الموقف لكان في ميسوره ان يمنع وقوع كوارث عظيمة لحقت به وببلاده بعد ذلك

وبينما كان امير حايل في مأمن من الغوائل والاحداث كان آل سعود ينتظرون الفرص السوانح للثأر بالدم الذي اريق في ارض الوطن ، وللرجوع الى ما لف الطفولة ومراتع الحداثة ،و كان لا معدى لمبارك امير الكويت من تشجيع آل سعود على المضي في ثاراتهم ، فلقد يكون لهمن وراء ذلك ظفر عظيم،لشديد عداوته لآل الرشيد ، ولكن الترك لم يلبثوا ان فطنوا الى هذه الامور فنصحوا امير الكويت ان لا يقدم على امر ، وفي الوقت نفسه اخذ الاتراك يشجعون آل الرشيد على المقاومة ، ولم يكن في طوقهم ان يفعلوا اكثر من ذلك ، لان الدسائس الالمانية في تركيا كانت تعمل اعمالها ، ولان الالمانيين كانوا يدفعون الترك الى التدخل في شؤون جزيرة العرب مخافة ان يؤول الامر فيها الى بريطانيا ، فكان طبيعياً ان يقع الترك في حيرة عظيمة ، فلا يدرون ما يعملون وقد كانوا حلفاء لبرلين ، و كانت هذه المحالفة تحملهم على ان لا يعصوا امر الرجال الالمان ، وهم الى ذلك لم ينجحوا بعد في مد خط بغداد ، لان مبارك بن الصباح يمانع في مده ، ولان اميرحايل

كان في نفس الوقت يصم اذنيه عن السماع، ويحاول الاستفادة من هذا النزاع ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ورأى الترك الذين كانوا يصانعون الالمان في سياستهم ويسايرونهم في اهوائهم ، ان يعمدوا للامر ، ويضربوا الضربة القاضية ، والقي الى مبارك ما ينويه الترك به ، فبعد ان كان يتقرب من الانكليز ، ويصانعهم ، حالفهم وآزرهم ، وانضم الى لوائهم ، فلما فكر الترك ومن ورائهم الالمان في خلعه ، وقفت السياسة الانكليزية تؤيده وتناصره ، فارتد الترك والالمان يبحثون سياسة اخرى ، وبدا للترك عندئذ ان موقفهم المتردد بين ابن الرشيد ومبارك الصباح قد اضعف نفوذهم في جزيرة العرب ، فطفقوا يبحثون عن مخرج يخرجون منه ، فبدا لهم ان حرباً تضطرم لظاها بين الاميرين العربيين هي المخرج الوحيد ، لانها ستفضي في النهاية الى اضعاف الغالب والمغلوب ، وفوق هذا كله ، فان الحروب التي تثار في الجزيرة لا تحدث تأثيراً في تركيا مهما يكن الغالب ومهما يكن المغلوب ، وادرك اولوا الشأن الترك والالمان ايضاً ان حرباً كهذه لن يجد الانكليز فيها مدخلاً ولا سبيلاً ، وانهم والحالة هذه مجبرون على الوقوف موقف الحياد .

....

وعندئذ احس مبارك شيخ الكويت بالخطر ، ذلك انه لم

يكن صاحب جند ولا قوة ، و كان يعلم ضعف سكان الكويت وانصرافهم الى التجارة ، هذا الى ان جدران المدينة نفسها كانت قد تداعت ، واخذت بالسقوط والتصدع ، فكان عليه والحالة هذه ان يبحث عن عاصم ، يعصمه من عدوه ، ويرد كيده عنه ، وقد وفق في استمالة بعض قبائل العجمان ومطير ومرة ، وادرك بثاقب نظره اهميه عبد الرحمن بن سعود ، وما يستطيعه بواسطته من استثارة قبائل نجد للثورة ، و كان قد ذهب يتوسل بمختلف السبل للتحبب الى ابن سعود الشاب الذي كان يحبه ويقدر جرأته وهمته ويأنس به ، فكان ابن سعود كثيراً ما يقصده الى القصر في خفية عن والده الذي كان يكره مبارك الصباح ، لما يراه من تبذله وبعده عن الدين ، ولكن ابن سعود الفتى كان سياسياً لبقاً ، وكان يعلم انه لن يوفق الى ما يريده من تحرير نجد وطرد آل الرشيد منها الا بموافقة مبارك ومعونته ، فكان والحالة هذه مضطراً الى التحبب اليه ، واستمالته الى فكرته ، واستراق الفرص السانحة التي كان يؤمن بانها قريبة منه جداً ، وانه ستصل به الى آماله واغراضه .

ورأى مبارك ان يضرب خصومه من آل الرشيد قبل ان يبدأوه بالحرب والعدوان ، فنادى مناصريه ، وجاء من نجد عشرة الاف متطوع فمشى بهم ، ومعه عبد الرحمن آل سعود ، وارسل ابن سعود الشاب الى نجد يثير قبائلها ، ويدفعهم الى الثورة وخلع نير

العبوديةمن اعناقهم،وسر ابن سعود بهذه الفرصة ، وملأه الامل بان
يوفق في مهمته هذه ويحرر بلاده،وكان لذلك العهد في العشرين ولكنه
لما وصل الى اطراف نجد ، اتاه الخبر بفشل شيخ الكويت في المعركة
التي وقعت بينه وبين ابن الرشيد ، وكيف انه قد ارتد مسرعاً الى
مدينته ، بعد ان تنكر له حلفاؤه من قبائل العجمان والمنتفك ، وقلبوا
له ظهر المجن ، ولم يكد رجال ابن سعود ، وانصاره من النجديين
يعلمون خبر هذه الفاجعة حتى وهنت منهم العزائم ،ودب الى نفوسهم
الخوف،فعادوا ادراجهم وعلى رأسهم ابن سعود الى الكويت ، فوجد
شيخ الكويت ووالده يعملان على تحصين المدينة ، لعلهم يردون
عادية ابن الرشيد عنها ، وكان هذا قد اخذ يقترب منها بعد ان انزل
اشد القصاص بالقبائل التي تنكرت له ، وكان قاسياً وظالماً في
انتقامه ، فلم يترك نخلة من نخيل الرياض الا نصب على جذوعها
رجالاً من الذين فكروا بنصرة آل سعود ، ثم غشي الكويت
بجيوشه الجرارة بعد ان كسر قوة لشيخ الكويت وقفت تصده
عن المدينة ، وقد اقسم ان يهدم البلد ، ويقتص من آل سعود
ومن شيخ الكويت ورجاله قصاصاً بليغاً

وكان رجال شمر وعلى رأسهم ابن الرشيد قد بلغوا في زحفهم
الى الخليج الفارسي ، فاستولى الرعب على جميع الناس ، وكان اهالي
الكويت قوماً تجاراً ، كما قدمنا ، يكثر فيهم الصيارفة ، ويندر في

صفوفهم المحاربون الاشداء ، فخافوا على ثرواتهم خوفهم على املاكهم ورأوا ان لا فائدة ترجى من طاعتهم لشيخ الكويت والدفاع عنه ، حتى لقد فكر بعضهم بتسليم البلد الى ابن الرشيد عند وصوله ؛ ولكن حدث عندئذ ما ليس في الحسبان ، فقد تداخلت انكلترا ، واخبرت ابن الرشيد ، بانها لا تسمح له بمهاجمة الكويت ، التي تربطها مع شيخها معاهدة صداقة ووداد .

....

وبذلك اخفق امير حايل ابن الرشيد ، في ماراح يمني نفسه به من سحق اعدائه واقتحام الكويت ، ولم ينل مأربه من آل سعود الذين ظلوا احياء واقوياء

واخفقت كذلك السياسة الالمانية التي كانت تدفع تركيا لتدفع بدورها ابن الرشيد لمهاجمة الكويت والاستيلاء عليها ، واليها تنتهي سكة حديد بغداد ، التي يقصد الالمان الى انشائها في المستقبل وكان الالمان قد وطدوا النفس على جعل ميناء الكويت مقراً لسياستهم الرامية الى منافسة انكلترا ، وملاحقتها في نفوذها في الشرق الاقصى .

٦

ايام في الصحراء

لقد كان في طوق ابن الرشيد ان يأمن على نفسه من الاخطار لو قبع عبد الرحمن في منزله ولم يستأنف حربه، وكان في ميسوره ان يطمئن الى سلامة ملكه، لو اقلع مبارك عن ثاراته، ولكن ابن سعود كان الان في العشرين من عمره شاباً طويل القامة، شديد العضل، قوي الجسم، عظيم الجرأة، وكان الى هذا كله ذلك الوطني الذي احب وطنه فوق كل حب، وكان من اقدس امانيه ان لا يغمض عينيه عن هذا الوطن، وكيف ينام مثله عن مقاصده وعدوه لا يزال ممعناً في اضطهاد ذويه، لذلك نراه بعد فشله لا يذوق طعاماً ولا نوماً، ويذهب يجمع الجموع، ويؤلف الكتائب ثم يخرج من الكويت ليجمع الى رايته اولئك الابطال الصناديد الذين ارادتهم العناية الالهية ان يكونوا من شركائه في تحرير ارض الوطن

وليس القتال في جزيرة العرب بالامر الهين اليسير، ولكنه الامر العسير الشاق، ومع هذا كله، فقد بلغت دعوة ابن سعود الى تحرير وطنه قلوب الشيوخ وقلوب الشباب وقلوب النساء، فاحمستهم وتباروا في الاصغاء الى ندائه، ولم يتردد صغير او كبير عن طاعته

فاذا تصورت هذا الجيش في حماسته بدا لك ان القتال مفزع ورهيب، وعلمت انه لأمر جلل يتعلق بالحرية قد تطوع الكبار والصغار في كتائب ابن سعود، وفوق هذا كله فقد كان لابن الرشيد جيش فيه اكبر عدد من ضباط الترك وربما كان لوجود هؤلاء الضباط في صفوفهم اثر في تماديهم في الظلم فقطعوا الاشجار، وعبثوا بحرية الديار، ووطئوا النساء واوغلوا في اعمال الحقد، وقد فعلوا ذلك لانهم اكبر قوة في جزيرة العرب، ولانهم الى ذلك سادات القبائل، وقد حسب الناس يوم بدأت المعركة ان آل سعود صائرون الى فشل حقيق، فلقد حدث ان كان عبد الرحمن شيخاً طاعناً في السن فما عاد يستطيع ان يحارب، وأحب ان يتخلى عن فروض الزعامة لولده ولكن ابن السعود الفتى ما كان يهمه ان يكون زعيماً وانما كان يهمه ان يعمل في سبيل الوطن وفي سبيل حريته، حتى اذا قدر له ان يفوز بامانيه اطمأن الى زعامة دفع قيمتها جهداً كريماً، وعملا عظيما، ودماً شريفاً.

ولقد ضاق ابن السعود ذرعاً بهذه الايام يمضيها في الكويت لا يمشي فيها لعمل، ولا يشمر لامر، وآلمه هذا الجمود يغمر عائلته فلا تستطيع مضياً الى اغراضها، وحرباً لعدوها، فاعتزم العمل بنفسه واستقر رأيه على مغادرة الكويت الى البادية، لعله يوفق الى صبابته ويصل الى اغراضه.

وتحدث ابن السعود برأيه الى مبارك شيخ الكويت ، وحاول الاتصال مع الانكليز لعلهم يساعدونه على قهر عدوه، فلم يوفق معهم ولم يصل الى اقناعهم ، فلما اعاد الكرة على مبارك، لم يجد هذا كبير شر في هذه المخاطرة ، فان وفق ابن السعود على خصمه ، فهذه غايته وبطوقه ان يسحق هذا الفتى بعد ذلك ، وان غلب ابن الرشيد ، فلن يصل الى الغاية هذه الا بعد عناء وعسر ، وبعد نكد ومشاق .

وكذلك اعطى مبارك الفتى المغامر بعض الجمال ، والاقل من الذخيرة والسلاح، وبعض المال ، وتركه يمضي الى شأنه ويمشي الى الصحراء .

وكذلك استقام لابن السعود مما صرف الايام وتكلف الاباء في تحقيقه ، فالف كتيبة من المغامرين المغاوير ،وما كان عدد هؤلاء البواسل ليزيد عن ثلاثين رجلا ، جهزهم بما لديه من معدات الحرب وكان بينهم شقيقه وجلوي ابن عمه ومضى يسير على رأسهم الى غايته العليا ومثله السامية .

ولما دخل على والدته وجدها تبكي ورأى اباه ينتظره على احر من الجمر، وقدحاول الابوان الشفيقان ان يحملاه على الرجوع عن فكرته فما ادركا امنيتهما من ذلك،فلقد اصر الفتى على المضي الى اغراضه، غير حافل بعواصف الحياة، ولا مكترث لقوى عدوه

وفي اواخر صيف سنة ١٩٠١ غادر عبد العزيز آل سعود مدينة الكويت سراً مصحوباً باخيه محمد وابن عمه ،وقد وجدوا امام المدينة عبدانهم وقبضة من الرجال كانوا جميعاً على استعداد للمفاداة وللاعمال العظيمة ، وقد مشى هؤلاء جميعهم مع ابن سعود الى الصحراء لفتح مدينة الرياض وقتال امير حايل الذي كان باستطاعته ان يجمع تحت رايته عشرة الاف محارب

ولقد خيل لابن سعود وهو في طريقه الى عاصمة آبائه ، ان الوطن يدعوه اليه فاستمع لندائه ، وطار الى الرياض في خفة الطائر فلم يترك وراءه اثراً ، ولم يحمل معه الحقائب التي تجعل حمله ثقيلاً ، بل ابى ان يصحب معه زاداً ، فكان رجاله وابطاله يجدون زادهم في القرى التي كانوا ينزلون بها فرساناً وركباناً

وفي خفة البرق تساقط ابن سعود على خيام العجمان الذين خانوا قضية ابيه،فاستولى على ارزاقهم وغلالهم انتقاماً لما بدا من غدرهم وفرارهم امام قوة ابن الرشيد ، وبينما كان الناس يظنونه قد مات ، اذا هو يطلع عليهم امام سور مدينة حايل ، فما لبث هذا النبأ ان ذاع في مدينة الحسا ، ثم حدث ان تهافت ابن سعود بنفسه على مراكز آل الرشيد فدمرها تدميراً ، وعلى هذه الصورة اصبح البطل حديث الناس لانه كان في كل مكان ولانه كان يسخر النصر لارادته التي لا تغلب ، فهو في ليلة واحدة امام حايل ، وامام

الرياض ، وامام معسكرات عدوه ، وقد كان طبيعياً ان يلقي اسمه الرعب في جميع القلوب وان يهابه الناس جميعاً !

وقد كان من فوزه ان وفق الى حمل بعض القرى على الثورة ، فلحق به ناس كانوا لا يأمنون اللحاق به .

ويستطاع القول ان النصر الذي ادركه ابن سعود قد ضاعف في عدد جنوده فلم يعد ذلك المحارب المغامر الذي يحتاج الى الجند .

....

ولكنه وهو اعرف الناس بالبادية ، كان يعرف من الاعراب ما لا يعرفونه من انفسهم ، وكان على مثل اليقين من ان هؤلاء الذين لحقوا به وانضموا الى صفوفه من بدو الصحراء ، ليس يمنعهم اي مانع في مستقبلات الايام ، وحين يحسون خطراً ، من مجافاته والاعراض عنه ومغادرته وشأنه ، وكان ينبغي له ليطمئن الى النصر ان يعتمد على سكان المدن ، فان هؤلاء يستطيعون ان يمدوه بالقوى التي يحتاج اليها من غير ان يفكروا في خذلانه ، ولكن الثورة التي استند ابن سعود اليها في انجاح مقاصده وتنفيذ خططه ، لم تأت ، فظلت المدن حريصة على السكون مخافة ان ينزل بها غضب آل الرشيد ، وكانت نجد قد ظهرت عليها علائم الفتور فلم تهزها وطنية الفتى النبيل .

ومع هذا كله لم تضعف حماسة ابن سعود ، الرجل المؤمن

بمستقبل وطنه ، فشرع يهاجم اعداءه وينقض عليهم ، ويختلط بصفوفهم ، ويمزق صدورهم بسيفه ، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وحتى خيل الى الذين معه من رجاله القلائل انه ليس رجلاً مثلهم ، والواقع ان ما اختاره ابن سعود من خطط وسبل في محاربة عدوه ، كان مما افضى اليه به تجواله مع بني مرة في الربع الخالي ، فقد علمه هؤلاء ، اذا ما كان في عصبة قليلة ان لا يحارب عدوه وجهاً لوجه ، وان يخاتله ويما كره ، ويكر عليه في اطرافه ، ويقتحم مسالحه حتى يضعفه ، ويثير الشك في قلوب من حوله ، في قوتهم على رده ، والقضاء عليه ٠

ثم تتالت ايام مليئة بالفاقة والبؤس والفشل ، واصبح الذين يقاتلون مع ابن سعود دون ما زاد ولا قوت ولا جمال ، وارسل ابن الرشيد قوة ردت ابن سعود ورجاله عن نجد ، فحول وجهه نحو الحساء فرده (العجمان) عنها ، واخذ الترك عندئذ يتحدثون الى مبارك شيخ الكويت بان يطلب ابن سعود اليه ، وكانت هذه الحال ابشع ما وصل اليها رجال بهرتهم اماني الشاب الزعيم ، فجروا وراء الخطر لا يحسبون له حساباً ، فلما اوشكوا ان يجوزوا نصف الطريق عرضت لهم مخاطر وصعاب فوق الطاقة وفوق الامكان ٠

وكان ابن سعود لذلك العهد في الربع الخالي غير بعيد من واحة جبرين فدعا جميع رجاله الى موافاته في هذه الواحة ، وطفق

يتحدث اليهم عن الماضي وعن الحاضر وعن المستقبل ، وعرض عليهم ما ينبغي لهم ان يعملوه في سبيل الوطن الذي اغتصبه عدوهم ، وقال لهم زيادة على ذلك : « انه يفضل ان يرجعوا الى بيوتهم ومساكنهم اذا كانوا لا يهبون دماءهم وقلوبهم للوطن في شخص زعيمه الداعي الى توطيد حريته »

و كانت حماسته فوق كل وصف ، فتركه فريق من رجاله وشأنه ولحقوا بقومهم ، ولكن جلوي ومحمد شقيقه والثلاثين فارساً الذين لحقوا به من الكويت وعشرة من اهل الرياض كانوا قد عاذوا بكنفه لم يريدوا فراقه ، بل ظلوا معه ، فكانوا جيش حرية الوطن المستعبد على حين لم يكن لهذا الجيش الصغير هذه الكتائب وهذه الاعلام التي يشتمل عليها الخميس العرمرم

تحت سماء واحة جبرين الزرقاء عن كثب من هذه الحاشية الصغيرة التي هي كل عالم بطل كبير عظيم شعر ابن الامة العربية النبيل بان هنالك رسالة ينبغي له ان يؤديها في كثير من الامانة ، وفي كثير من الحرص ، فطفق يفكر في الوسائل التي تعينه على ادراك السؤل ، وفي الوقت نفسه كان عدوه ابن الرشيد امير حايل يحصي عليه انفاسه ويراقب حركاته ويبعث اليه بالجواسيس فيأتيه هؤلاء باخباره ، وما كان هؤلاء الجواسيس بقادرين على فراقه لا في ليل ولا في نهار ، ولكنه كان مطمئناً الى اسمه ، و كان قد نذر

ان يجرب حظه كرة اخرى امام الموت فان انتصر فذلك ما يتمناه رجل لا يطيق ان ينظر الى آلام الوطن ، وان مات فلا بأس من موت شريف نبيل

وقد قال ابن سعود لابيه مرة :

« ان الالم الذي قاسته امرته لم نعرف له صورة في تاريخ اسرة عربية لا في الماضي ولا في الحاضر » وقد كان وصفه صادقا حقاً ، فان آل سعود قد تفرقوا تحت كل كوكب وانتشروا جميعاً ما بين الصحراء والبحر في حين لا يزال العدو النازل بارضهم يمشي على الارض مرحاً

وفي ذات يوم جلس ابن سعود على حافة بئر في واحة جبرين واخذ يتحدث عن خططه التي اعدها لربح المعركة المقبلة فكان جلوي ومحمد يستمعان له ، وقد دلها قلبهما على الفشل ، لان جميع الرجال الذين كانوا معهم قد فارقوهم وتفرقوا في الصحاري

وقد حدث بعد هذا ان تفرق ما تبقى من الناس ، ثم ازمع ابن سعود وجلوي ومحمد رحيلا عن واحة جبرين ، وقد تملك اليأس قلوب الجميع وسرى الخبر من نجد الى الحسا ومن حابل الى الكويت ، وخيل الى الناس ان الثورة التي اثارها ابن سعود في سبيل تحرير بلاده قد انتهى امرها الى الابد .

و كان في ميسور ابن سعود ان يجد الرجال في الصحراء ، ولكن

كان ينبغي له ان يقوم باعمال الجبابرة ليستبقيهم في صفوفه، وكان يعرف من امر عدوه شيئاً كثيراً فهو عندرأيه عدو قوي الشكيمة شديد الخطر ، ولم يكن ابن سعود مع هذا لينكر تعلق الناس بشخصه ، وولعهم بزعامته ، على الرغم من حداثة سنه، ولكن هؤلاء كانت تنقصهم مروءته وشيمه ، وكانوا في حاجة الى مثل جلده وصبره على الخطوب .



٧

الزحف الى ارض الوطن

ولقد ايقن ابن سعود بعد كثير من البحث ان لا سبيل الى الظفر بامانيه ، الا اذا قام بما يعجز سواه ، ويدهش ويذهل ، وكان لا بد له للوصول الى ذلك من اقتحام الرياض نفسها ، فارسل احد رجاله يبحث خبر العدو فيها ، فعاد هذا بعد ايام يقول : « ان في المدينة حرساً قوياً لابن الرشيد ، وان حاكم المدينة الشيخ عجلان يعيش في القصر على مقربة من القلعة وان الناس فيها يكرهون ابن الرشيد ورجاله ، ولكنهم لا يستطيعون لدفعهم عن بلادهم سبيلا وانهم والحالة هذه بحاجة الى زعيم يسيرون خلفه ويثقون به

واحس ابن سعود عندئذ بانه ليس بطوقه مهاجمة المدينة بمالديه من رجال على وضح الصبح وملأ من الناس ، وانه لا بد له من اقتحامها سراً ، والسقوط عليها بغتة وليلا ، ورأى ان لا بد له لكي ينتظم له النجاح ان يخفي اغراضه ، ولا يحدث احداً من رجاله بها ، فاذاع ان رجاله قد فارقوه ، ومشى بمن معه الى مكان قصي في الصحراء اخفاء لآثاره .

وقبع مكانه في الصحراء شهراً وبعض الشهر ، لا يستمع

الناس الى اخباره وغزواته ، حتى لقد ظن اكثرهم ، وآل الرشيد وانصارهم بانه قد عاد ادراجه ، وانه قد استولى عليه اليأس فهو يهيم على وجهه في الصحروات والمفاوز، و كان ينبغي له ليتناسى اعداءه امره وخبره ، وليطمئنوا الى انفسهم منه ، ان يتحاشى المرور بالقرى والمواطن العامرة وان يجهد نفسه وانصاره جهداً عظيماً .

ولقد برح ابن سعود جبرين في مستهل رمضان وهو شهر الصوم حيث لا يتناول المسلم طعاما ولا يسيغ شرابا قبل زوال النهار وحلول المساء ، و كان جلوي ومحمد والرجال القلائل الذين يرافقون ابن السعود ، حريصين على الصوم برغم اسفارهم الجاهدة ورحلاتهم المضنية ، وكانوا يفضلون السفر ليلاً اجتنابا لمتاعب النهار وفراراً من لذع الشمس ونطاير الغبار فما يؤنسهم في الرحلات الطويلة خلال الصحارى غير ضياء القمر وغير ظلال السحب تترقرق على صحائف الرمل

و كان ابن سعود في وسط هذا الموكب، ولكنه كان الرجل الصامت الساكن لا يتكلم ولا يفتح فمه برغم ما كان يجتاز الفراسخ والاميال البعيدة الشقة في طريقه الى الرياض

وقد نقضت الليالي الاول وهؤلاء الذين يرافقونه لا يقولون قولاً ، ثم لم يلبث هؤلاء الذين جاروا الزعيم الجليل في سكونه وصمته ان تبرموا بهذا السفر الشاق فكانوا كلما اوغلوا في طوافهم وسيرهم

امتد الى نفوسهم الفتور واليأس ، فلقد نضب الماء الذي حملوه في حقائبهم ويبس التمر الذي نقلوه حتى شابه الحطب ، وكانوا اذا مروا بناحية من الارض ورأوا فيها غزالاً امتنعوا من اصطياده حتى لا يضطرهم الامر الى اشعال النار لطبخه

ولكن ابن السعود وحده لم يكن مهموما ولا يائسا ، بل كان على النقيض من ذلك مسرور النفس مثلوج الحشاشة ضاحك الاسارير ، يحاول ما استطاع ان يفضي الى رجاله بآماله وطمأنينته وان الفوز قريب .

وفي العشرين من شهر رمضان امر ابن السعود رجاله بالتقدم الى الامام ، والسير نحو الرياض ، فساروا في كثير من التريث والهوادة ، حتى لا يفطن لامرهم احد ، وبعد ايام وصلوا الى ماء جيفان فاحتفلوا بالعيد ، ثم امرهم الشاب الزعيم بالاسراع في السير ، لان البلاد عامرة بالسكان ، وهو لا يريد ان يصل الخبر الى الرياض بوجوده في جوارها قبل وصوله اليها .

ولقد وصل ابن سعود بعد معاناة ونصب وآلام ومتاعب ، الى واحة تطفح بالنخيل على مسافة ساعة من الرياض دون ان يفطن الى امره احد ولا يحس به انسان ، ولم تساور آل الرشيد في امره الظنون والريب فقد كان هؤلاء غافلين عن شأنه وكان هو غير غافل عن شئونهم ، ولما وصل الى تلك الواحة العامرة بالنخيل سرح خيوله وحيواناته

وطلب من بعض رجاله ان يعودوا الى الكويت ويخبروا اباه عبد الرحمن بموته، اذا لم يعد اليهم بعد مضي ايام ثم زحف بالذين معه من رجاله مشيا على الاقدام الى قرية صغيرة تبتديء عندها بساتين الرياض وحدائقها، فترك عندها بعض رجاله وزودهم بمثل مازود به الرجال الذين ارادهم على الرجوع الى الكويت، فلما سقط الليل قطع عبد العزيز آل سعود شجرة نخل قديمة واتخذ جذوعها سلما ثم خرج الى الرياض ومعه جلوي وستة من رجاله لا اقل ولا اكثر

وقد كان من المحتمل كثيراً ان يشعر بهم احد الحراس، ولكن ابن السعود كان رجل العناية الموفق فتمهل في سيره خلال بساتين المدينة وحدائقها حتى نزل بمقبرتها وظل واثبا في سيره من غير ان يفطن له احد

وكان عدد الحراس الذين يسهرون على حماية الاسوار ضئيلا وقليلاً، وجنود ابن الرشيد الذين يؤلفون حامية المدينة لا يخافون طارئاً ولا يحذرون طارقاً، وكان ابن سعود على نقيض هؤلاء كثير الحذر شديد الاحتراس، وكانت له خبرة طويلة بهذه الاماكن التي نزل بها وترجع هذه الخبرة الى زمن الحداثة، ومع ذلك فقد خيل لاحد رجال الحرس انه لمح خيالا فهاله ذلك فصرخ من «القادم» ولكن الكلاب التى افاقت على صوت النذير ظلت صامتة ساكتة فتوهم الحارس انه يحلم ولم يعد يستأنف الصياح

ولكن الشيء المستغرب في نظر هذا الحارس ان يمتد السكون من حوله وان لا يسمع صوت الغربان التي كثيراً ما كانت تهز نواحي الليل باصواتها، وكان الحارس مع ذلك يطيل النظر الى جوف الليل ، وكان ينبغي له كبدوي يرقب صغيرات الامور وكبيراتها، ان يضاعف حذره فلما اشتدت اوهامه ورجعت الى نفسه بلابلها العديدة وهم ان يصيح، لمع في غسق الليل خنجر حاد امتدت به الى صدره يد احد رجال عبد العزيز ، فهوى عن مكانه مضرجا بدمه من غير ان ينبس بكلمة، فطرحت جثته الى الشارع وتمكن رجال ابن السعود الستة بفضل جذع النخلة الذي حملوه معهم من تسلق السور !

وكانت الليلة قارسة البرد والناس في شهر كانون الثاني ، وقد اقفلوا ابواب مساكنهم ، فلم يصادف رجال ابن السعود احداً في الشوارع بل ظلوا دائبين في انجاح مقاصدهم حتى وصلوا الى جوار الحصن بالقرب من قصر آل سعود القديم، وقد فعلوا ذلك من غير ان يعلم احد بامرهم وهنالك منزل قديم يسكنه عبد من عبيد آل سعود وكان ينبغي التربث زمناً قصيراً ليهب الرجل من نومه وكان ينبغي ان يقول له رجال ابن سعود انهم رسل الحاكم ليفتح الابواب امامهم

فلما قرع الباب وسمع رجال ابن سعود صرير الاقفال من الداخل لم يلبثوا ان اقتحموا المنزل وكانت دقائق قليلة كافية لتذكير

العبد بمآثر آل سعود والالام التي نزلت بهم منذ دخل آل الرشيد الى نجد فلطفت الذكريات البعيدة نفس العبد، وحن الى اسياده القدماء فرمى بنفسه بين ذراعي عبد العزيز باكيا وطفق بدله على منافذ المنزل ومساربه واكثر هذه المنافذ في سقوف المنزل

وقد كانت منازل الرياض كغيرها من منازل مدن الشرق تنقسم الى قسمين واحد للرجال وآخر للنساء، وهي في الغالب يتصل بعضها ببعض وكان القسم المعد للنساء في اعلى السقوف فجازه ابن سعود مع رجاله وانتشروا في نواحيه واتصلوا بمنزل الحاكم نفسه

وقد كان المشهد عظيماً جداً فان اتباع الحاكم لم يلبثوا ان شعروا بخوف شديد حينما بدت لهم عيون هؤلاء الرجال تسطع ببريق الموت، ولكن الابطال الستة الذين وافقوا عبد العزيز في سياحته الجاهدة ومطافه الشديد العنيف، لم يدعوا الرجال الحاكم فرصة تمكنهم من الاستغاثة فحبسوهم في غرفة واوقفوا على حراستهم رجلين من اشد الرجال

ومضى الآخرون من رجال نجد الى التوغل في بيت الحاكم فوجدوا انفسهم حيال امرأته واخته، ولكن هاتين المرأتين لم تقدما على الصياح فقد اخافهما في عيون هؤلاء الرجال ذلك البريق الذي اخاف اتباع الحاكم قبل لحظات

وهكذا افتتح آل سعود اول فتوحاتهم في الرياض وبعد هذا

الحادث دعا عبد العزيز اليه رجاله الذين استبقاهم في القرية عند اطراف المدينة فلحقوا به قبل طلوع الفجر بساعتين وجاسوا خلال قصر الحاكم وجلسوا جميعهم القرفصاء في حجرة عظيمة تطل مساطبها على حصن الرياض وكان الحاكم ينام في هذا الحصن نوم الخلي كانما هو قد اطمأن الى يومه وغده ، وهو ما كان واهماً فيه كل الوهم

في تلك الاثناء فحص آل سعود المتربصون في بيت الحاكم موقفهم ، فرأوا ان لا معدى لهم عن الشروع في العمل فان هذه الساعة الباكرة هي آخر ما لديهم ، فاما حياة واما موت ، وبين هذين المجد والعار ، وكان عبد العزيز اشد رفاقه شعوراً بالحماسة فامرهم بالصلاة فصلوا ، وقرأ عليهم بعض سور القرآن ، فما ابقت آيات الله البينات في نفوسهم جزعا ، فلما اشرق نور الصباح جدد هؤلاء اقسامهم ونذروا الله ان يعملوا في سبيل بلادهم بما لديهم من قوة ونشاط ثم تسوروا اعلى السور وانتظموا في صفين طويلين وشرعوا يصلون ووجوههم شطر مكة ثم وضعوا ايديهم على سيوفهم كانما يريدون ان يطمئنوا الى وفاء هذه السيوف لهم فلم يلبثوا ان اظهروا ارتياحهم الى مستقبلهم والفضل في شعورهم بهذا العزاء يعود الى هذه الصلاة التي صلوها فغسلت حوباء نفوسهم ، وحببت اليها الموت في سبيل الشرف والمجد

و كانوا ينتظرون ان يقول زعيمهم كلمته فيهم ليقولوا هم كلمتهم في مصير الحاكم ثم طال بهم الانتظار وعيونهم لا تفارق باب الحصن حيث يخرج العدو

كان ينبغي لرجال ابن السعود القلائل ان ينتظروا قليلا حيال الحصن ، فلما اشرقت الشمس بدأت الحركة في الحصن ، وخرج عبيد الحاكم يجرون جياده وافراسه وفتح الباب على مصراعيه فظهر عجلان نائب ابن الرشيد وعامله على الرياض فاذا على وجهه علائم التعب كانما هو قد امضى ليله ارقاً ساهراً

و كان ابن سعود لا يزال منكمشاً في مكمنه، فلما رأى وجه الحاكم رمى بنفسه عليه ، وانقض جلوي في خفة البرق على الحارسين اللذين يرافقان الحاكم فقتل احدهما وجرح الآخر ، وجعل رجال ابن سعود يخرجون من اماكنهم وينسلون الى الحصن ، وهم يطلقون النار على رجال الحرس الذين كانوا يرابطون على بابه ، و كان الجو مملوءاً بالغبار فقتل في غضون هذه المعركة رجلان من الكويت وسقط اربعة على الارض ، بعدان اثخنتهم الجراح ثم توافد رجال الحرس من كل صوب وناحية لاغاثة الحاكم ولكن الرعب الذي انتشر في الصفوف شغلهم عن اقفال الباب فبقي مفتوحاً ، واخذ رجال الحامية الذين في الحصن يطلقون النار من الاسوار فحصد رصاصهم الحرس من اخوانهم الذين كانوا يدافعون عن الحاكم

وكان عجلان عامل ابن الرشيد قد افلت من يدي ابن سعود بعد ان اصابته الجروح ففر الى مسجد الرياض الجامع فلحق به جلوي وقتله قبل ان يسرع في خطوه ، وانه لعائد الى الحصن اذ ابصر رجلين من رجال ابن الرشيد يحاولان اغلاق الباب على ابن السعود فمنعهما ، واستنصر رجاله فجاءوا اليه مسرعين ولم تمض دقائق حتى كان ما اراده ابن السعود امراً مقضياً ، وتغلب السعوديون على حرس عجلان ودحروهم ، وكان محمد شقيق عبد العزيز في تلك الاثناء مكباً على جثة الحاكم القتيل ، فقطع رأسه وعلقه في الجذع ، واماله الى ناحية اعدائه ليريهم اياه ، فذعرت نفوسهم ، وضعفوا عن المقاومة فسلموا الحصن ، وتخلوا عن حمايته ولم يلبث خبر هذه الملحمة ان انتشر في المدينة فتدفقت الحماسة في صدور اهلها فثاروا جميعاً ، وزاد في حماستهم انهم رأوا رأس الحاكم وهو معلق على الجذع ثم حملوا السلاح وتهافتوا على تقتيل انصار ابن الرشيد ، وهم يغنون اغانيهم ، وفي مساء اليوم نفسه نادى المنتصرون بابن سعود الفتى ملكاً وزعيماً ومنقذاً ومحرراً .

وفي اليوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٠٢ استردت اسرة آل سعود ملكها الضائع بعد احدى عشرة سنة امضاها رجالها في الاغتراب والمنفى

ولما بلغ ابن الرشيد حوادث الرياض لم يكترث لها اول الامر ،

ولا اهتم لانتصارات ابن السعود، فلقد كان هذا الفتى عند رأيه محاربا شجاعا، وفي صفوف الجيش الذي يقوده ابن الرشيد عدد من المحاربين والبواسل، ففي وسعه ان يسير بهم الى قتال ابن السعود الذي اصبح في قفص بعد احتلاله مدينة الرياض وان يقضي عليه حالاً، ولم يطل به تفكيره فاخذ يعمل، وكانت اول اعماله انه عقد صلحا مع جميع القبائل في القرى التي ثارت عليه منذ ادرك ابن السعود انتصاراته الاولى

وقد فعل ذلك وهو لا يزال يخدع نفسه ويظن في آل سعود العجز عن المبادرة، وربما كان لكبريائه اثر في عدم اكتراثه لاعدائه فلقد كان يرى سقوط الرياض نتيجة لخدعة، وفي تاريخ جزيرة العرب كثير من مثل هذا الحادث، لذلك صرف ابن الرشيد عزيمته عن استعادة مدينة الرياض وآثر ان يذهب الى الكويت لانزال القصاص باميرها مبارك، لانه الرجل الوحيد الذي اعان ابن سعود على الثورة وحبس على مساعدته الاموال والسلاح، يضاف الى هذا كله ان امارة الكويت لا تبرح منبع خطر يهدد سلامة امارة آل الرشيد في حايل ولولا هذه المساعدات التي اداها مبارك لاعداء آل الرشيد ما كان في ميسور السعوديين ان يستردوا عاصمتهم الرياض، اذن فان من واجب امير حايل ان يشرع في تأديب خصمه العنيد الكبير.

ولكن الاستعدادات لحرب تثار على الكويت كانت

تتطلب زمناً طويلاً فلم يلبث آل الرشيد ان استندوا الى مساعدة الترك ، وليس من شك في هذه المساعدة ، لان الترك قد مادت نفوسهم من الخوف وشعروا بافلاسهم السياسي في جزيرة العرب ، فلقد كانوا يظنون انفسهم اسياد الجزيرة و كانوا يعتقدون ان نفوذهم لن يلحق به ضعف ولا وهن ما دام ابن الرشيد يستطيع الى الابد ان يبقى سيداً في حايل وفي الرياض ، وقد كان اشد ما روع الترك وافقدهم الراحة انهم حسبوا انتصار مبارك في سياسته انتصاراً للسياسة الانكليزية في جزيرة العرب

غير ان سنة ١٩٠٢ مضت في سكون تام فلم تقم حايل بامر من الامور ، وقد يكون من حسن حظ ابن السعود ان تمر هذه السنة وهو دائب في التهيوء لقتال خصمه مستمر في تنظيم اموره ،وتنسيق شئونه ، و كان ذكيا بحيث رفعه ذكاؤه الى منزلة لم يحلم بها عدوه الغبي .

وفي غضون ذلك كان ينبغي لعبد العزيز ان يأتي بأبيه الى الرياض وما بالقليل ان يسافر الرجل في مثل ظروفه الصعبة ، ومع هذا كله قدر عبد الرحمن على العودة الى الرياض مشاق كثيرة فاستقبله ابنه عند اسوارها وهو محاط بكبار نجد واشرافها وعيونها ورجال حربها

وعلى مسافة ثلاثين خطوة تلاقى الوالد والولد ، واجتمع الزعيم

الفتى الى الزعيم الشيخ ، ولما رأى عبد الرحمن انه حيال البطل الشجاع حاول ان يترجل عن جواده ، فكان ابنه اسرع منه الى النزول عن فرسه ، فجاء اليه واخذه بين ذراعيه في كثير من الحب و كثير من الرأفة ، ثم في كثير من الاخلاص ثم بكى الوالد والولد بكاء الفرح والاغتباط

واخذا باطراف الحديث قدراً راحباً ، وجلس ابن سعود وابوه القرفصاء في سرادق يتولى حراسته عشرون من السود ، ثم نزع الى الصلاة تحت عيون الجماهير ، وعندما هبط الليل سار الموكب الى الرياض حيث استقبل بحماسة بالغة دلت على مكانة عبد الرحمن في نفوس مواطنيه ، وما كان في وسع احد ان ينكر مآثر هذا الرجل الذي نافح في سبيل وطنه حتى غرب عنه ولم يعد اليه الا بعد طول فرقة وبعد عناء ونكر كثير .

وشيء آخر كان يبتعث الناس على ان يشتدوا في حماستهم ، وذلكم هو مظهر عبد العزيز الجديد ، فلقد كان قبل ان يدخل الرياض مغامرا و كان شريدا طريدا ، فلما انتصر لم يبطره الانتصار بل اتقد كان فوزه على عدوه مثاراً لشرف محتده ، وعراقة اصله ، فطلع على الناس زعيما لا ينقصه من خلق الزعيم المجدد المصلح والمحرر الفذ لا كثير ولا يسير

وقد كان الناس يظنونه اشد قسوة من الحجارة وانه لا يلين

لدمعة ؛ ولا يرق للوعة ، فلما بصروا به باكيا بين ذراعي ابيه ، ورأوا الشيء الكثير من مظاهر حبه وتبجيله للشيخ الطريد العائد الى الوطن وثقوا انه الرجل الذي جمع اشرف الصفات واحسن الاخلاق

لقد كان الاستقبال الذي لقيه عبد الرحمن عند دخوله الى الرياض فوق كل وصف وفي اليوم التالي اجتمع العلماء والنبلاء وشيوخ نجد في المسجد الجامع ونادوا بعبد العزيز الذي كرم اباه ، زعيما للعربية واماما للوهابية ، فاصبح منذ ذلك اليوم الامير السابع عشر من اسرة آل سعود وبطل النهضة العربية في هذا العصر ورمز الوحدة التي ينشدها العرب جميعا في بر وبحر

وان في حياة هذا الزعيم لدروسا في الكمال والمروءة والفضيلة والشجاعة والتضحية والبذل ، فلقد خرج من الكويت ليثأر بابيه ويغسل عارا لحق باسرته ، فلم يصطحب معه غير عزيمة كامنة في نفسه ، وغير فكرة طغت على حسه ، وغير ايمانه الصحيح بالمستقبل ثم رجع رجعة الزعيم الظافر

وكان قد ذهب مصحوبا ببعض الرجال فعاد ومن خلفه العلماء والاشراف وشيوخ قومه ، وهكذا عقدت انتصاراته على جبينه اكليلا من الغار ، فلو قدر لانسان ان يرى اليه يوم وطيء ابوه ارض الرياض ، لادرك في يسر وسهولة انه ابنه وطنه في شمائله وفضائله ، ولقد كان من فضل الله عليه ان اصبحت شجاعته وحكمته مضرب الامثال

في جزيرة العرب فما يجتمع اعرابي في خيمته الا افاض في حديثه عنه

في خلال شتاء عام ١٩٠٢ زحف ابن الرشيد بكتائبه الى الرياض رجاة الاستيلاء على وكر النسر فكان كلما تقدم في طريقه لا يجد من الناس الا اعراضا والا فتورا ، فادرك اذ ذاك منزلة ابن سعود في قومه وعلم ان ابن سعود لم يظفر فحسب ، بفتح الحصون ودك المعاقل ، وانما ظفر هذا الزعيم بقلوب الناس جميعا حتى لقد مكنه ظفره اللامع من التبسط في المدن المجاورة والواحات القريبة فتهافت شيوخ العرب من اقصى نجد على طاعته والوفاء له ، وبين هؤلاء الذين بايعوه واوفوا له اناس اعتزلوا العالم من زمن بعيد ، مما يدل على اكبارهم له واجماعهم على حبه ، ثم هو يدل على انهم رأوا فيه ذلك الرجل الذي ارادته العناية على استرداد ما ذهب وضاع من امجاد العربية وامجاد الاسلامية

....

فكر ابن الرشيد في مهاجمة الرياض من خلفها ، فاعد لذلك احسن العدد ، ولكن ابن السعود ما كان يجهل خطط عدوه فترك اباه في المدينة وعهد اليه بحمايتها ورعايتها ثم ذهب بنفسه يسقط على عدوه فينزل به خسارة عظيمة فتراجعت شمر الى حايل على اثرها

وقد كان ابن سعود دائماً اسرع الى العمل من رجال ابن الرشيد

فلم يترك لهم سبيلاً لمهاجمة الكويت فكان من جراء ذلك ان اوفى مبارك له وان حمل اليه السلاح والذخيرة والقوت، وجاء ربيع سنة ١٩٠٣ وابن السعود يحمي الرياض ويدفع عنها السوء و كان زيادة على ذلك يحمي اربع مدن من نجد وحيث كانت الامطار نادرة في بلاد شمر فان امير حايل لم يجروء على ان يقذف برجاله في غارة يثيرها على ابن سعود و كان ينبغي له ان يجمع اليه جيشا كبيرا ولكن الحصول على هذا الجيش ليس امرا يسيرا قبل ان يحصد الناس حصادهم وعلى هذه الصورة نقضت سنة ١٩٠٣ من غير ان يخرج جندى من شمر الى قتال ابن السعود

وقد كان اعداء عبد العزيز يتجاوزون في اكثر الاحايين حدود الحقد والموجدة فيعترفون بانه النجم اللامع الذي لا يخبونوره والذي يزيده الله تألقا وسناء في كل يوم

ولما جاء عام ١٩٠٤ كان ابن سعود سيد بلاد نجد جميعا فاخذ يفكر في الوسائل التي تساعده على ايجاد قواعد ثابتة لعمل قوي وعظيم

٨

الثورة في نجد

ترك ابن سعود والده في الرياض ، وخرج الى ما حولها من المدن والقرى مع عصبة من رجاله يحمسها و يدفعها الى الثورة ، وقد قصد في اول الامر الى قبيلة الدواسر الشديدة المراس والتي كانت تربطها واياها اواصر نسب ورحم ، فاحمسها واثارها ودفع اليها السلاح والذخيرة ، وانتقل منها الى سواها من القبائل ، و كان رجال ابن الرشيد يتعقبونه ويحاولون معه قتالاً فلا يوفقون ، ذلك انه لم يكن ليحاربهم وجهاً لوجه ، فاذا عثر على جماعة منهم سحقهم سحقاً ، واذا وجدهم قوة مال عنهم ، واختفى في الصحراء ، و كان ابن الرشيد يوفق احياناً فيسترد قرية اثارها ابن سعود عليه واخرجها عن حكمه ، ولكن هذا كان يعود اليها فيحررها ويثيرها من جديد بعد ان يبطش برجال ابن الرشيد فيها

ورأى ابن الرشيد ذلك من عدوه فعلم ان ملكه مهدد بالزوال ان تركه وشأنه ، فصمم على القضاء عليه واقتحام الرياض ، ولكن رجاله وعيونه ، انبأوه بان الرياض قوية منيعة ، وانه اذا ما حاول اقتحامها فقد لا يوفق الا بعد حصار عنيف ، فعول عندئذ على اقتحام بلدة

(ديلام) فجأة ، وكانت قد دانت لابن السعود فمشى اليها في جيش قوي وقد ارسل العيون امامه حتى لا يعلم احد بمقدمه ، خصوصاً بعد ان علم ان ابن سعود بعيد عنه وانه في الجنوب

.....

فلما علم ابن سعود بتقدم عدوه ، ادرك ان الواجب يقضي عليه بدفعه عن (ديلام) ، و (الرياض) ، وعلم انه اذا تمكن ابن الرشيد من اقتحام الرياض فان موقفه يصبح خطراً جداً ، فذهب يثير القرى من حوله ، حتى تمكن من جمع عدد من الرجال مشى بهم مسرعا الى حيث استقر بابن الرشيد المقام قبل مهاجمة (ديلام) التي نذر ان يدخلها عنوة ، وان يمشي اليها فاتحاً غازياً وحوله رجاله وانصاره

وبينما كان ابن سعود يجد في سيره سقط عن ناقته ، ومشى فوقه بعض رجاله دون ما علم منهم ، فاصيب برضوض كثيرة ، ولكنه ما كاد يعود الى وعيه ، حتى امر رجاله بالسير والتشمير ، وكأن امراً لم يقع له ، حتى وصل الى ديلام في الليل فرتب بعض جنده في حرش من النخيل حولها ، ودخل المدينة فامر بقفل ابوابها والتأهب لرد العدو ثم سقط الى الارض من كثرة ما اصابه من الرضوض والالم .

ذلك انه كان قد مضى عليه سبعة ايام بلياليهن وهو على ناقة

جاداً مستمراً مسرعاً لا ينال راحة، ولا ينعم بما هو بحاجة اليه من نوم، وكان الى ذلك كله لا يبتلع مأكلا ومشربا ، مما كان فوق طاقة البشر وفوق الامكان

ولما اشرف الفجر تقدم ابن الرشيد برجاله نحو المدينة ، فلما وصلوا الى حرج النخيل تساقطت عليهم طلقات الرصاص فاصيب بعضهم وارتد الآخرون ، فادرك ابن الرشيد انه امام جيش منظم فحاول معرفة عدوه ومقدار سلاحه فلم يوفق ، ذلك ان ابن السعود كان قد قسم رجاله وامرهم بالاقتصاد في رصاصهم ، وان لا يمطروا عدوهم دفعة واحدة ، وان ينتظروا ساعة العمل

وفي اليوم التالي قرر ابن الرشيد مهاجمة المدينة برجاله واقتحامها، وعندئذ اصدر ابن السعود امره الى رجاله باطلاق الرصاص ، فاجفل رجال ابن الرشيد ، لان الرصاص كان وابلاً ، وليس بمقدار، كما توهموا اول الأمر ،

واغتنم ابن سعود هذه الفرصة فامر بالهجوم العام وهو ما كان ينتظره رجاله ، لانهم لم يعودوا يطيقون صبراً ، وكان هو في طليعة المهاجمين ، وكانت الحرب شديدة طاحنة ، وكان هجوم ابن سعود ورجاله شديداً هائلاً مزق صفوف العدو ، واثخن فيهم ، فتفرقوا في البطاح والصحراوات ، وتأثرهم السعوديون فلم يبقوا الا على اقلهم ممن نفذت ذخيرتهم ، واماتت الحرب خيلهم .

وبهذه المعركة انتصف آل سعود من ابن الرشيد ، وكان ذلك اول انتصار لهم ، فانتقل الخبر بسرعة البرق الى كل القرى والدساكر ، فثار اهلها على من كان لديهم من عمال ابن الرشيد فاخرجوهم ، وتمكن ابن سعود من الاستيلاء على جنوبي نجد كلها .

ولكن ابن الرشيد لم يكن جباناً ولا رعديداً ، فما هو الا ان رجع الى (حايل) ، حتى جهز جيشاً جديداً وذهب به نحو الرياض واخذ بمحاصرتها ، فلما علم ابن سعود بذلك لم يزحف الى (الرياض) بل مشى مسرعاً الى مواطن ابن الرشيد ومنازل قبائل شمر ، فلما علم هؤلاء بامره ، هالهم الخطر الكبير ، واشفقوا على بنيهم وزوجاتهم ان يمعن فيهم ابن سعود قتلاً واسراً ، فتركوا الرياض واسرعوا لمواطنهم ، وتم لابن السعود ما اراده من تخليص الرياض وحمايتها ، فارتد على القرى النجدية بعيدها الى حظيرة الطاعة ، ويضمها الى مواطن اجدادها السابقة ، و يوحد من صفوف رجالها ، و يغذي حميتهم ويذكي شعورهم بالوطن وحب الوطن

....

هذه الانتصارات انالت ابن سعود حظاً وفيراً من الشهرة الطائرة ، والبراعة العسكرية في الجزيرة ، فقد وفق حتى الآن في كثير مما نذر ان يصل اليه ، فارتد ابن الرشيد الى مواطنه الاصلية ، واصبحت اكثر نجد تدين للسعودية وحكومة الرياض ،

وكثر جنده ، وزادت دخائره ، فاصبح بطوقه ان يحارب ابن الرشيد وجهاً لوجه ، وما كان في الماضي يطيق ذلك ولا يستطيعه

وتتالت المعارك بين ابن السعود وابن الرشيد في خريف ١٩٠٢ وربيع ١٩٠٣ ولم يتخذا بالسلام الا بعد ان اصاب القحط الجزيرة ، وقل المطر ، وماتت الماشية ، فاضطرا مرغمين الى التريث قليلاً ، على ان يعودا الى استئناف هذه الحرب ، ماساعدت الفرصة ، وكان الى ذلك سبيل .

والواقع ان الخصومة اصبحت شخصية بين ابن سعود وابن الرشيد ، فقد كان على احدهما ان يترك الميدان والحكم لصاحبه ، وكان ابن الرشيد يعتمد على قبائل شمر ، وابن سعود على سكان الرياض ، وما حولها من مدن وقرى ، وكانت القبائل العربية الاخرى ، لا تستقر على حال في حالاتها مع احد الرجلين ، فتارة تساعد هذا ، وتارة تؤيد الآخر ، ولكنها كانت الى ابن سعود اكثر تأييداً ، واقرب وداً .

ذلك انه كان لبقاً ذكياً ، رحب الصدر ، كريم الاعراق ، ما يتأخر عن بذل ، ولا يرتد امام تضحية ، وهي صفات ما كان ابن الرشيد ينعم بواحدة منها ، وهي الى ذلك صفات كان من الحق ان ينعم بها من يحاول السيطرة على الجزيرة ، والتحكم في صحراواتها واعرابها ، ....

وفي اواخر شتاء سنة ١٩٠٣ ولما اخذ المطر يتنزل على الجزيرة، وحسنت الحالة، وظهر الكلاء على اديم العربية، تقدم ابن السعود الى (القصيم) وهي مقاطعة من اثمن مقاطعات نجد، وكان ابن الرشيد لا يزال يسيطر عليها، وان كان اهلها لا يطيقون حكمه، ولا يتقبلون امارته، وكانت (بريدة) و (عنيزة) من اعظم مدن هذه المقاطعة، فتقدم ابن سعود اليها منتظراً، وكان ابن الرشيد في هذه الفترة، بعيداً عنها يعمل على تخضيد ثورة نشبت بين قبائله وانصاره، فتمكن ابن سعود من الاستيلاء على (عنيزة) ورد قائد امير الرشيد (حسين جاربد) وقتله، ثم ذهب يحاصر (بريدة) التي اعتصمت بها قوة لابن الرشيد واقفلت ابواب المدينة في وجهه.

ولما ارسل ابن الرشيد قوة ترد ابن سعود عن (بريدة) كسرها هذا وقبض على قائدها الذي كان من انسباء ابن الرشيد وقتله، وعلى اثر ذلك سلمت (بريدة)، وبسقوط هذه المدينة اصبح ابن السعود سيد نجد كلها.

واستقبلت الرياض ابن السعود عند رجوعه اليها استقبال الظافر، وفي وسط الاجتماع الفخم الذي عقد في المسجد نودي بابن السعود اميراً على الوهابيين وزعيماً للدين.

٩

ابن سعود وسلطان العثمانيين

لقد كانت انتصارات ابن السعود على ابن الرشيد بغيضة الى الترك، الذين كانوا ومن ورائهم الالمان يعلمون ان هذا الامير النجدي لن ينزل على طاعتهم ولن يرضى بسلطانهم، و كانوا الى ذلك يعلمون ان ضعف ابن الرشيد وفشله ، فشل لهم ، وانخذال لسياستهم في الجزيرة العربية ، فلما رأوا ما اصاب ابن الرشيد في الاعوام الاخيرة، وشاهدوا تقدم الوهابية ، وتبسطها ، ادركوا انه لا معدي لهم من محاربة الوهابيين واقتحام امصارهم فارسل السلطان عبد الحميد امراً الى حاكم بغداد ، بالتشمير والاستعداد لحرب ابن السعود ، وفي اوائل صيف ١٩٠٤ تحركت ثماني فرق تركية نحو الجزيرة ، وايدها ابن الرشيد برجاله من قبائل شمر ، واخذ هذا الجيش يهدد عنيزة وبريدة .

واخذ ابن سعود يجمع رجاله ، ويثير حماسة قومه للدفاع عن ارضهم وصد العدوان عنها ؛ ولكنه كان من اعلم الناس بضعفه وقوة عدوه ، و كان لا يجهل ندرة سلاحه وقلة ذخائره ، ولكنه كان مطمئن القلب الى ان الله لن يخذله ، وانه فائز في عراكه هذا

لا محالة

وقد وفق ابن السعود قبل المعركة الى الاستيلاء على قطيع من الغنم لقبائل شمر ، فانعش هذا الانتصار قلب رجاله ، وما كادوا يأكلون حتى اصدر ابن السعود امره اليهم بالهجوم ، فهجموا هجوم المستميت ، وتمكنوا من رد قبائل شمر ، ولكن الترك كانوا يسيطرون على مصير المعركة بثباتهم ، واسلحتهم ومعداتهم ، ولم يكن رجال ابن السعود معودين على قنابل المدافع فتراجعوا ، ولكن ابن السعود احمسهم ودفعهم الى الثبات ، وعدم الهرب ، فاطمأنوا الى كلامه ، ولكنهم كانوا قد خسروا في هجومهم هذا ما يقرب من الف قتيل

. . . .

من غريب امر هذا الرجل الذي نتولى في كتابنا هذا بحث تاريخه ، وتسطير اخباره ، انه كان اكثر املاً ، واظهر سروراً عند اليأس والفشل منه عند الانتصار والنجاح ، فقد اعادت ابتسامته الساحرة ، واطمئنانه العجيب الحماسة الى رجاله ، وكان الترك في هذه الفترة قد اخذوا يتقدمون نحو الاقاليم النجدية يحاولون اخضاعها ، فتركوا بذلك معسكرهم ، فاغتنم ابن السعود الفرصة ، وهاجم المعسكر فاستولى على كل ما فيه من ذخيرة وعتاد ، واخذ بدوره يرسل الرسل الى القبائل المختلفة يستنصرهم لدفع العدو عن

بلادهم ، فايدته قبائل مطير و غيرها ، فهاجم الترك مرة ثانية وهم في طريقهم الى معسكرهم من بعض القرى النجدية ، فوفق هذه المرة ، وبعد ان اظهر جرأة لا مثيل لها ، وهجم بنفسه وحرسه الخاص على قلب الجيش التركي ، من كسر الجيش وتشتيته وتفريقه في الصحراء

و كانت هزيمة الترك في ايلول من سنة ١٩٠٤ بليغة قوية ، فقد استسلم بعضهم للوهابيين ، واحتمى البعض الآخر بقبيلة شمر ، وتفرق الآخرون في الصحراء حيث ماتوا عطشاً وجوعاً .

ولقد رأى الترك على اثر هذا الفشل الذي لحقهم ان يعاد الى الاتفاق مع ابن سعود بدلاً من مقاومته وحربه ، حرباً تكلفهم كثيراً ، ولن تفيدهم شيئاً ، ورأى ابن السعود من مصلحته ان يتفق معهم ، خصوصاً وقد كان بحاجة قصوى الى شيء من الراحة والسلام ، يعمل فيهما على تحسين الادارة الحكومية في نجد ، وترتيب الاحوال ، وصار الاجتماع في الكويت بواسطة مبارك الصباح بين عبد الرحمن والد ابن السعود مفوضاً عن نجد ، وبين مخلص باشا احد قواد الترك على ان يعترف الترك بامارة ابن السعود على نجد ومن ضمنها القصيم ، شرط السماح للقوة التركية بالبقاء في عنيزة وبريدة .

ولكن هذه القوة لم تستطع البقاء طويلا ، في مواطنها الجديدة ، فقد وقف ابن سعود منها موقف المتفرج لا يساعدها ولا يعاونها ، و كانت هذه القوة مضطرة ابداً الى البقاء ضمن جدران

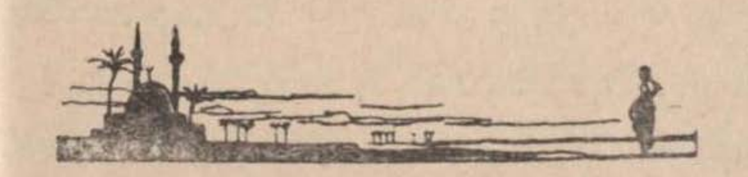
المدينتين فان فرط بعض افرادها يوماً بانفسهم واعتزموا خروجاً الى الصحراء ، اثخن فيهم الاعراب قتلا وتنكيلا

وبعد مضي سنة من قيام القوة التركية في اقليم القصيم ، وفي بلدتي بريدة وعنيزة من اعماله ، كان الجهد والنصب والجوع والامراض قد تولت رجالها بالحظ العاثر ، والنقص الفادح ، بحيث لم تستطع الحكومة التركية صبراً على هذه الحالة فاستدعتها الى بغداد ، وبذلك تم لابن سعود ما اراده من السيطرة على الاقاليم النجدية سيطرة فعلية شاملة

وبخروج الترك من نجد اصبح ابن سعود وجهاً لوجه امام ابن الرشيد ، و كان لا معدى له من الحذر منه والاستعداد له ، خصوصاً وقد كان ابن الرشيد على مثل اليقين من انه ليس في العربية من هو اشد خطراً عليه وعلى سلطانه من ابن سعود ، فكان الرجلان والحالة هذه يتربصان الدوائر ، ويسترقان الفرص السانحة ، وكان ابن سعود كثير الحذر ، لا يأنس لاحد ولا يطمأن الى شخص ، وكان لا يأمن على نفسه من طعنة خنجر او ضربة سيف ، يسددها اليه عدوه في حالة غفلة وطمأنينة ، و كان الى ذلك يعني العناية كلها برجاله وجنده ، يتفقد امورهم ، وينظر في شؤونهم ويبحث خلافاتهم ومشا كلهم ، ثم كان امينا على واجباته نحو ربه ، قائماً بكل فروضه نحو خالقه

وكان ابن الرشيد في هذه الفترة يقوم ببعض الغزوات حول القرى النجدية ، وقد ظن ان ابن السعود بعيد عنها ، وكان في ظنه مصيباً ، ولكن ابن سعود ما كاد يعلم بخبره ، حتى جد مسرعاً اليه ، وفي ذات يوم وبينما كان ابن الرشيد وجماعته وادعين مطمئنين هاجمهم ابن السعود برجاله فافناهم ، وقتل ابن الرشيد واحتز رأسه

وبمقتل ابن الرشيد سقط نفوذ العائلة الى حضيض الارض ، وتفرق عنها رجالها وانصارها ، واخذ ابناء الرشيد يختصمون على الامارة خصاماً شديداً ، شغلهم عن عدوهم وانساهم مصالحهم ، فتركهم ابن السعود وشأنهم ، بعد ان ايقن انه لا خوف عليه منهم ، تركهم يقضي بعضهم على بعض ، ويمزق بعضهم بعضاً



١٠

الكفاح الرائع !

ابن السعود اليوم في السابعة والعشرين من عمره طويل القامة، مفتول الساعد ، شديد العصب ، متناسق الاعضاء ، اسمر اللون ، اسود الشعر ، ذو لحية خفيفة مستديرة وشارب يقصه على الطريقة الوهابية ، وقدذهبت له شهرة طائرة فيطول الجزيرة وعرضها بعد ما قصصناه من اخباره وحوادثه ، بانه محارب قوي،وانهمنتصر مظفر ابداً

ولقد كان عليه ان يظل ابداً متنبهاً يقظاً ، ذلك ان اعراب البادية لم يكونوا بالقوم الذين يتقبلون سيادة ولا يرتضون امارة ، و كانوا اذا احسوا ضعفاً انتقصوا على السلطان القائم ، فكان على ابن السعود ان يجعلهم يشعرون دائماً بسلطانه وقوته وبطشه ، وكانوا قد آزروه ثقة منهم بما سيصيبونه في الحرب من اسلاب وغيرها، وكانوا يظنون انه سيتركهم وشأنهم ينهبون البادية ويسطون على القوافل، فلما وجدوا منه شدة وحزماً اسقط في يدهم واخذوا يفكرون بالتمرد والثورة

و كان مبارك شيخ الكويت قداخذ ينظر الى تقدم ابن السعود نظر الريبة والحذر ، ذلك ان سياسته كانت تقضي بان يظل ابن

السعود وابن الرشيد في خصومة دائمة ، وان يظلا ايضا على حالة واحدة من القوة وعدد الجند ، فلا يقوى الواحد على الاخر ، محافظة على التوازن الذي كان يرى مبارك وحلفاوءه من الترك انه ضروري لصيانة نفوذهم وسلطانهم في الجزيرة

فلما بطش ابن السعود بآل الرشيد ، واستولى على نجد كلها ، رأى مبارك ان يثير القبائل عليه رغبة منه في اضعافه فاتفق والترك على هذه الخطة ، وبعث الى زعيم قبائل مطير فيصل الدويش بالمال والذخائر لمحاربة ابن السعود ، كما ارسل رسولا من عنده ينصح آل الرشيد بالاتفاق ومقاتلة ابن السعود ، وبعث كذلك الى حاكم (بريده) يطلب منه ان لا يعترف بسلطان ابن سعود بعد اليوم ، ووقف هو بعيداً عن كل هذه المفاسد ينظر الى نتائجها ومصايرها وماسيكون من شأنها

لما علم ابن السعود بان حاكم بريده قد اغلق ابوابه وتحصن في المدينة ، مشى برجاله اليه ، فوجد بعض قبائل شمر في الطريق فقاتلهم يومه فلم يوفق ، وسقط عن جواده اثناء المعركة ، ولكنه في اليوم التالي ورغم ما كان يعانيه من ألم هجم بنفسه على قبائل شمر فمزقها ، ثم ارتد الى مطير فكسرها ، وتأثرها الى مواطنها ، فاشعل النار في قراها جزاء خيانتها له غير مرة ، ثم ارتد على بريدة وكانت له شيعة فيها فتحت له ابوابها دون ما حرب ولا حصار

وكانت (بريدة) مفتاح نجد ، واعظم مدنها ، فرأى ابن السعود ان يعهد بادارتها بعد اليوم الى رجل يثق به ، فعين (جلوى) ابن عمه حاكماً عليها ، وجلوي هذا كان رجلاً يرمى اسمه الرعب في القلوب ، لشدته وعدله وجرأته وقوته ، فعادت السكينة الى بريدة وما حولها من امصار ، وامكن ابن السعود ان ينظر الى غيرها وان يفكر في سواها

....

وكان ان سقط السلطان عبد الحميد في هذه الفترة (١٩٠٨) وقامت جمعية الاتحاد والترقي تسيطر على سياسة السلطنة العثمانية ، وتحاول ان تجعل قوة (الاستانة) محسوسة في الاقطار العربية ، خصوصاً سوريا والحجاز ونجد ، فارسلوا الشريف حسين بن علي اميراً على مكة وكان منفياً في الاستانة ، خصوصاً وانهم كانوا على ثقة من اخلاصه لهم وتأييده سياستهم

وما كاد يصل الشريف الى مكة حتى اختصم مع ابن السعود على ارض تقع بين الحجاز ونجد وترعى فيها قبيلة عتيبة ابلها ، فقال ابن السعود بان القبيلة هي تحت سلطانه ، وقال الحسين بانها تحت لوائه ، وفي اثناء هذه الخصومة تمكن رجال الحسين من اسر سعد شقيق ابن السعود

فصمم ابن السعود عندئذ على مهاجمة الحسين لولا ثورة

اشتعلت حول نجد ، واخذت تهدد مملكته وسلطانه ، ورأى ابن السعود ان يواجه الوقائع ، و يساير القدر ، فاتفق مع الشريف حسين ، ودفع فدية شقيقه ، وانتهى الامر

ثم مشى الى ابناء عمه الذين رفعوا لواء الثورة عليه ، بمساعدة العجمان ، فمزقهم تمزيقًا وقتل كثيراً من روسائهم ، ونكل بهم افظع تنكيل ، واشتهر الخبر بين القبائل ، واستطار في القرى والمزارع ، فادرك الناس عندئذٍ اي مصير يلاقي اولئك الذين يخونون قضية الاستقلال في الجزيرة العربية ...

....

لقد اصبح بطوق ابن السعود سنة ١٩١٣ ان ينظر لادارة بلاده وسلطته نظرة موفقة، فقد تمكن من رد الترك عن الجزيرة ، وتغلب على آل الرشيد ، فهم ما يزالون يختصمون فيما بينهم، وليس من خطر قريب منهم، واما قبائل شمر فقد فتك بزعمائهم، فهم في خصومة واضطراب دائم

ولقد اشرنا قبلا الى رغبة ابن السعود الملحة في ان يحمل القبائل العربية على عدم الغزو ، وترك السبل والطرق آمنة مطمئنة ، وكان هذا شيئاً كثيراً لا يطيقه البدو ، ولا تتحمله نفوسهم وقد تعودوا عليه اجيالا طويلة ، ولكن ابن سعود وسيفه كانا اقرب الى عنق البدوي

من رغبته هذه ، فما هو ان تفكر قبيلة بالغزو ، حتى ينفذ فيها امره ويضطرب في رؤوس رجالها سيفه ، ولقد حدث مرة ان سقطت قبيلة مرة على قافلة من القوافل فنهبتها وقتلت رجالها ، فلما علم ابن السعود بالامر ، ذهب اليها دون ما انذار وسقط عليها فجأة ، فما هي الا ساعات حتى كانت مواطنها ناراً ثائرة ، واطلالا مندثرة ،وحتى كان رجالها ممددين على الاديم ، مشردين في صحراوات العربية

....

اما قضاء ابن السعود فحدث عنه ، لقد كان شيئًا قويًا عادلا جارفًا سريعًا ،هو قضاء البداوة ، ولكنه على قساوته عادل حق ، وما كان يطوق ابن السعود ان يفعل غير هذا ، وابن الصحراء ما يفهم غير السوط ، ولا يعلم من وازع غير السيف

وفي هذه الاثناء نقلت الى ابن السعود عيونه اخبارا خطيرة ، خلاصتها ان اعداءه اخذوا يجمعون امرهم من جديد على مهاجمته ومحاربته ، لقد عاد فيصل الدويش الى احضان قبيلة مطير ، واخذ العجمان يفكرون بالاخذ بالثار ، وقام الشريف الحسين بن علي يطالب بان تكون كل قبائل عتيبة تحت امرته ، حتى التي تسكن الاراضي النجدية ، كما ان مبارك شيخ الكويت ما يفتأ يحرك كل هؤلاء ويثيرهم عليه ، اما الترك فانهم يرسلون المال الى آل الرشيد وقبائل شمر وغيرهم لمهاجمة ابن السعود قبل ان يستفحل سلطانه

وقبل ان يقرر اعداء ابن السعود موقفهم من محاربتهم ، اخذ الاتراك يسحبون جنودهم من تخوم الجزيرة العربية بسبب فشلهم في الحرب البلقانية ، فانتهز عندئذ ابن السعود الفرصة ، وقرر ان يمشي على الحساء وان يحتل الهفوف ما دامت الحامية التركية فيما بعد قد اصبحت ضعيفة لا شأن لها

ولم يعلم احداً بخطته ولا تحدث الى شخص بما يريد ، جمع رجاله حتى اصبح عددهم سبعة آلاف مقاتل ، ثم مشى بهم في ليل غير مقمر الى الهفوف ،ولكنه رأى ان يتقدم جيشه فانتخب سبعمائة فارس من رجاله ، وتقدمهم مسرعاً ، مخافة ان يسبقه احد الى اخبار الترك بقدومه

وكان ابن السعود قد عرف من عيونه عدد الترك في الهفوف وقواتهم ، وما لديهم من ذخائر وغيرها ، فكان والحالة هذه مطمئناً الى نجاح حملته واثقاً من الظفر والفلاح .

وانتظر الزعيم السعودي حتى غابت الشمس ، واقبل الظلام ، فامر رجاله بقطع بعض اشجار النخيل ، وحولوها الى سلالم تسلقوها بخفة ورشاقة ، يساعدهم الظلام الدامس ونوم الجنود العميق ، حتى وصلوا الى قلعة (كوت)

وقسم ابن سعود رجاله الى ثلاثة اقسام متساوية ، وتسلل المغامرون منهم ، وانقضوا على الحراس الاتراك واعملوا في صدورهم

المدى ، فلم يبقوا على واحد منهم ، و بعد ان انتهوا من هذه المجزرة الصغيرة تجمعوا فوق الاسوار يطلون على المدينة بعد نجاحهم في الاستيلاء عليها ، وقبل ان يستفيق الجنود كان الوهابيون قد احتلوا القلعة ، واصبح ابن سعود حاكماً على الحساء

ولما وجد ابن سعود ان الشطر الاكبر من الجنود ، و كل الموظفين مع امرهم ، قد لجأوا الى الجامع الكبير في الحساء ، ارسل الى المتصرف رسولاً يبلغه هذه الرسالة التهديدية :

«استسلم انت ومن معك والا دمرت المسجد تدميراً واهلكت من فيه»

وامام هذا التهديد لم يسع الحاكم الا ان يأمر باخلاء المسجد فخرج من فيه فوراً واذعنوا للزعيم الوهابي الظافر

ثم استسلمت العقير ، فالقطيف ، بعد سقوط الهفوف ، فبات اقليم الحسا كله تحت امرة ابن سعود

اما الجنود الاتراك فتراجعوا الى الساحل دون ان يطلقوا رصاصة واحدة ، وقد اذهلتهم جرأة هذا الزعيم العربي النادرة

وما لبثوا ان ابحروا في سفنهم عائدين الى اوطانهم ، مغتبطين بنجاتهم . . . ولم يبق في الحسا جندي واحد غير عربي

ولقد تقبل الترك الامر الواقع ، فاتفقوا مع ابن سعود على الاعتراف بان الحساء من املاك نجد ، واعطوه مالاً ووساماً شرط

الاعتراف بسلطانهم ، وقد رضي ابن السعود بذلك اذ لم يكن فيه ما يمس سلطانه او يضير استقلاله

لقد استرد ابن سعود الاراضي التي اغتصبها العثمانيون من بيته الكريم ايام ضعفه قبل نصف قرن ، ولاول مرة اخذ يتحدث عن حدود مملكته «الساحلية» وهذا الحادث الخطير جعله يتصل اتصالاً مباشراً بالانكليز وهو امر كانت له فوائده ومصايره

لقد كانت طريقة الاستيلاء على الحساء بسيطة سريعة ، ولكن نتائجها على نفسية البدو كانت عظيمة ، فقد وجد البدو امامهم زعيماً استطاع ان يذل الحامية التركية ، ويعيدها مقهورة الى وطنها ، وهذا ما دفع البدو لان يروا في ابن سعود قائداً حقيقياً وبطلاً عظيماً

وهنا لا يسعنا الا ان نتساءل : ماذا كان يحدث يا ترى ، في بلاد العرب ، لو لم تنشب الحرب العالمية في السنة التالية ؟ اكبر الظن ان ابن سعود كان يصل الى ما وصل اليه اليوم من النجاح في زمن اقصر بكثير من الذي استغرقه ، فانه في الواقع قد قضى سنوات الحرب الاربع مقيداً ، لا يستطيع ان يفعل شيئاً غير المحافظة على الاملاك الواسعة التي استردها ، او افتتحها قبل الحرب

ولكن من الحقائق العظيمة الخطورة انه عرف كيف يتصل بالانكليز الذين كانوا يحتلون الخليج الفارسي ، فان حكومة الهند على

الرغم من عظم خطيئاتها كانت لاتفتأ تراقب مجرى الحودث في شرقي بلاد العرب ، وقد اوفدت مندوبها في الكويت الكابتن شكسبير لزيارة الرياض في الشتاء الذي جاء بعد احتلال الوهابيين للحسا .

وكم كان ابن سعود كريماً في استقباله ، وكم اظهر اعجابه بهذا المندوب السياسي ، وقابل شكسبير الاعجاب بمثله ، والودبالود ، فاخذ يفيض بتقاريره عن ابن سعود متحدثاً عن ميزاته الخارقة ، وليس من ريب في ان تقارير الكابتن شكسبير نائب حكومة الهند عن الحكم الوهابي ، جعلت الانكليز يهتمون بهذا النجم الجديد الذي اشرق نوره ساطعاً في سماء العربية

....

ولقد اجتمع ابن السعود مع مبارك شيخ الكويت قبل عقد المعاهدة الانكليزية ، وكانت رغبته من هذا الاجتماع ان يسأل هذا الشيخ السياسي القديم رأيه في موقفه بين الانكليز والترك ، فنصح شيخ الكويت له بان يبتعد عن الاثنين ، وان لايتصل باحد رجالات الدولتين ، وكل غرضة ان يترك ابن السعود وحده في الجزيرة ، لا يتصل نفوذه الى خارجها ، ولا يتعداها الى سواها ، وان يحصره ويقيده ، واحس ابن السعود بسوء نية الشيخ ، فما عتم عند رجوعه الى الرياض ان قرر امضاء المعاهدة وان كان ذلك بعد مدة طويلة وبعد

درس كثير ... وبعد ان اعلنت الحرب العامة واحس ابن السعود انه وحده ، بينما كل امراء الجزيرة كانت لهم علاقات ود وصداقة مع الانكليز او الترك ....

ولقد نظر ابن السعود الان الى موقفه وماتمكن من الحصول عليه فرأى ان يسير في سياسته بتريث وهوادة ، ورأى من الحكمة ان يخاتل اعدائه ويماكرهم كما يخاتلونه ويماكرونه ، ريثما تحين الفرص ، فينقض عليهم ، فلا يبقى على احد منهم ولا يذر ، ورأى من جهة اخرى ان اكثر من يعتمد عليهم للحرب والقتال هم من البدو ، وهؤلاء لا امان لهم ، وان سكان المدن والمزارع اقلية بالنسبة اليهم ، فرأى ان يخلق المستعمرات الصغيرة لهؤلاء البدو ، وان يحملهم على سكنى الارض والاعتناء بالزراعة حول المياه والانهر ، وقد وفق في مشروعه هذا توفيقاً عظيما ، اذ تمكن من حمل عدد عظيم من البدو على سكنى الارض والعناية بالزراعة ، وبذلك تناسى البدو فكرة الغزو والسقوط على القوافل ، واخذوا يفكرون بهذه المدن الجديدة ، وهذه المنازل الصغيرة التي اصبحت لكل واحد منهم

وقد استعان ابن السعود على تنفيذ فكرته هذه برجال الدين ، فلما آمن هؤلاء برأيه ، وعرفوا ما يرمي اليه ، من انشاء نواة من الابطال تدافع عن الدين والاسلام ، تنادوا بفضائل الفكرة ،

ونصحوا البدو بقبولها ، فخلقت المزارع وخلقت في المزارع هذه الفئة من الوهابية التي اصبحت تسمى فيما بعد (بالاخوان) والتي هي اشد الجماعات الاسلامية شدة وبأساً وجرأة وقوة وتضحية .

وكذلك خلقت مدينة (ارطوبة) كانت ارضافيها ماء وفيها عشب قليل ، فلما بدا لابن السعود خلق هذه المستعمرات والمزارع اصبحت بلدة عامرة ، واصبح سكانها كما قدمنا اشد القبائل النجدية بأسا وجرأة ، واخذ البدو يقبلون على هذه المزارع في (ارطوية) لما شاهدوا نجاحها وفلاحها ، واقبل (فيصل الدويش) ومعه بعض رجال مطير بدوره يعرض طاعته وخضوعه ، ويطلب ان يكون من الاخوان ، فرضي به ابن السعود وعينه حاكما (لارطوية)

وكثرت المزارع ، وكثر سكانها من البدو الذين اخذوا يتحضرون ويسرون بهذا التحضر ، واخذ ابن السعود بدوره يربط هذه المزارع بروابط كثيرة ليحس سكانها بانهم اخوان ، وانهم عصبة واحدة

١١

فشل فانتصار

احس الترك بهذه المفاوضات التي تقع بين ابن السعود والانكليز، فرأوا ان يحسموا الداء من اساسه ، فدفعوا ابن الرشيد — اي احد امراء هذا البيت الذي صار اميراً على حايل بعد وفاة والده و بعد ان انتهت الخصومة بينه وبين اخوته — لمحاربة ابن السعود وامدوه بالمال والرجال

ورأى ابن سعود الموقف ، فندب رجاله فامدته نجد بالأبطال من كل مكان ، وامدته مستعمراته الجديدة بشرذمة من (الاخوان) كما امده العجمان ومطير ببعض الفرسان ، ولما اصبح لديه ثلاثة آلاف مقاتل مشى بهم نحو آل الرشيد ، فالتقى بهم في مكان يسمى (جرب) وجرت المعركة من اول النهار الى آخره ، فلم يوفق ابن سعود فيها الى رد آل الرشيد ورجالهم من قبائل شمر ، وخانه (العجمان) فاضطر الى الارتداد تعباً الى الرياض ، وكان ابن الرشيد ايضاً قد اصيب في المعركة بخسائر عظيمة لم يتمكن معها من اللحاق بابن سعود ورجاله في اثناء ارتدادهم

وقد قتل الكبيتان شكسبير في هذه المعركة وهو المندوب الانكليزي لدى ابن السعود

وانتشر الخبر في طول العربية وعرضها بفشل ابن السعود فاستبشرت قبائل عتيبة ومره بالخلاص من هذا السلطان الشديد القوي ، وثارت قبائل العجمان في طول الحساء ، واخذ الترك وانصارهم وعيونهم يحرضون القبائل على الثورة ، و يتحدثون اليهم عن ضعف ابن السعود وانهيار سلطانه

ولكن زعيم نجد كان اشد ايماناً بنجمه ، وا كثر املاً بفوزه ساعة الفشل ، وعند الخطر ، لذلك لا نلبث ان نراه يعمل على جمع الرجال والمقاتلة مروّجاً انه يريد مقاتلة قبائل شمر ، ولكن ابن الرشيد لم يكن قادراً على القتال مستعداً للحرب بعد الخسارة التي مني فيها في المعركة الاخيرة ، فيرضى بالصلح ولو كان موقتاً

و كان عبدالله بن الحسين بن علي شريف مكة في قبائل عتيبة فراح يحاول التقدم بهذه القبائل نحو البلاد النجدية ، فرده ابن السعود بلطف ، وتكلف مجاملته فانتهى الامر

وعندئذ نظر ابن السعود الى الانصار ، فلم يجد غير الانكليز يتقدمون على سواحل الفرات فاتفق معهم ، واتفق كذلك مع مبارك شيخ الكويت ، و كان العجمان قد هاجموا اطراف الكويت وسلبوا بعض القرى فطلب مبارك معاقبتهم ، فرضي ابن السعود بذلك شرط ان يساعده مبارك في الحملة عليهم

و كان ابن سعود يحس في هذه الفترة بانه محاط بالاعداء من

كل جانب ، فعبدالله كان ينتظر فرصة سانحة لمهاجمته،وابن الرشيد كذلك ، وما الاتفاق معهما الا قصاصة ورق لا قيمة لها، امامبارك شيخ الكويت فلم يكن لابن السعود ثقة بكلامه ولا بصداقته، واما القبائل فكانت تتحفز للثورة ، حين ترى منه ضعفاً، او يقوى ساعد اعدائه وخصومه.

ولذلك ومع ان ما لدى ابن السعود من المقاتلة والذخيرة كان قليلا ، فقد كان عليه مهاجمة العجمان والقضاء عليهم قبل ان تستفحل الثورة ويسود الاضطراب في ارض الجزيرة ، ولكنه لم يوفق في محاربة العجمان ، ذلك ان رجاله كانوا اقل عدداً،فاضطروا للتراجع والارتداد ، بعد ان قتل سعد شقيق ابن السعود في المعركة امام عينيه ، اصابته رصاصة فصرعته . . . فهوى الى الارض ميتاً

ونظر ابن السعود الى الموقف الذى هو فيه ، فاذا به يواجه حالة من اخطر الحالات التي مرت به في ماضيات الايام،واذا به يحس بان الثورة على الابواب ، وان خصومه قد اخذوا يتقدمون نحو بلاده ومملكته ، وقد وردت الاخبار بتقدم ابن الرشيد ، ولكن حاكم بريده الوهابي رده ، وارسل ابن السعود الى والده بطلب المساعدة فارسل له ابوه عبد الرحمن ما لديه من رجال وذخيرة ، وارسل له الانكليز مالا وغير ذلك ، وبعث له مبارك شيخ الكويت بابنه سليم مع حفنة من الرجال، وكان هذا يكره ابن السعود ويكره مساعدته

ولولا تشديد والده عليه لما غادر الكويت ، ولا حرك ساكناً ...

وكان ابن سعود في هذه الفترة وقبل ان تصله الامدادات من الرياض والكويت قد اخذ يهاجم العجمان على غرة ويقاتلهم على حذر ، خصوصاً بعد ان تقدموا نحو الهفوف عاصمة الحساء واخذوا بمحاصرتها ، وكان يمعن فيهم قتلاً ؛ ويظهر في حربهم وفي الانتقال من مكان الى آخر بسرعة غريبة قوة يعجب بها رجاله ، ويزدادوا به حباً ، وله عبادة

....

وضاق العجمان ذرعاً من هذا الحصار لعاصمة الحساء ، وهم قوم تعودوا الغزو والانتقال من مكان الى آخر ، فتركوا المدينة وشأنها وانصرفوا للغزو كعادتهم ، ولما وصلت امدادات الرياض والكويت الى ابن السعود انطلق خلفهم ، ثم غادر القوة التي معه بعد ان اخذ حفنة منها وهاجم العجمان وحده بهذه القوة القليلة من رجاله فاصابته رصاصة ، وكان في الصف الاول فالقته على الارض جريحاً ،واغتنم العجمان الفرصة فهربوا ، فارسل ابن السعود شقيقه محمد وسليم ابن شيخ الكويت خلفهم ، فما عتم سليم ان اتفق مع العجمان واخذ يحارب رجال ابن السعود

....

لقد كان ابن سعود جريحاً في خيمته وكانت الشوائع تملأ

الارض حوله ، فبعض رجاله كان يقول ان العجمان قد وافتهم امدادات جديدة وانهم سيهاجمون غداً ، وآخرون يقولون بضرورة العودة الى الرياض ما دام في الوقت متسع ...

واحس ابن سعود بان رجاله قد فقدوا كثيراً من جرأتهم ونشاطهم ، وكان جرحه مؤلماً الا انه لم يكن كثير الالم ، وهنا تظهر جرأته وقوته فقد امر احد رجاله ان يبحث له عن فتاة بكر يتزوجها في هذه الليلة ليظهر لرجاله انه ليس بالرجل نصرعه رصاصة ، وحملوا له الفتاة وصار الزواج ، واحتفل المعسكر احتفالاً عظيماً اذهب عنهم الروع ، واعاد اليهم نشاطهم وقوتهم ، وبذلك تمكن ابن السعود من الانتصار الاول على اخبار السوء وشوائع الفشل ...

وحدث ان تمكن ابن السعود في هذه الفترة من الوصول الى كتاب من مبارك الى ابنه يثبت خيانة مبارك ، ورغبته في هلاك ابن السعود ، فصمم عندئذ ابن السعود على مهاجمة العجمان ولو كان سليم معهم ، ولكنه قبل ان يبدأ هجومه غادر سليم العجمان مسرعاً الى الكويت لان خبراً جاءه بمرض والده ...

....

لم يبق امام ابن السعود الا العجمان ، فاخذ يحاربهم طيلة عام ١٩١٦ ، وكانت الحرب سجالاً ، ولكن ابن سعود تمكن في آخر الامر من محقهم محقاً ، فقضى على مواطنهم ، واحرق منازلهم ، وابى

ان يترك لاحد منهم موطناً في الجزيرة العربية،فاضطر من بقي منهم الى الهرب الى الكويت حيث اجارهم شيخها جابر الذي قام مقام مبارك الذي توفي اثر المرض الذي الم به ، ولم يكن جابر هذا رجل ادارة وعزم، و لكن سلياً كان سيد الموقف ، وصاحب الامر والنهي وهو الذي حمى العجمان ، وابى ان يسلمهم الى ابن السعود ،فتركه سيد الجزيرة وشأنه وقد اقسم ان يؤدبه في المستقبل

....

وعادابن السعود الى نجد ، فوجد ان الحالة فيها مضطربة ،وان هناك قوماً كثيرين قد ثاروا عليه ، وخرجوا في امورهم وشؤونهم عن رأيه ، بيد انه ما كاد يعود الى عاصمته حتى استتبت الاحوال وهدأت الاضطرابات ، فرأى ابن السعود ان يأخذ الامر بالحسنى وان لا يعاقب احداً من الذين اثاروا الشغب والعصيان في غيابه ، وعفا وصفح، و كان ليناً رضياً ...

١٣

السياسة الانكليزية في الجزيرة

اطلقت بريطانيا العظمى بصرها الى جزيرة العرب تبحث عن الانصار والاعوان ، فعثرت عليهم في كل مكان ، ولم تفشل الا مع الامام يحيى الذي ظل امينا لميثاق السنوات العشر ، الذي قطعه على نفسه سنة ١٩١١ مع الترك بان يظل مواليا لهم ولامارة حايل -- آل الرشيد -- فلا يعرض لهم بسوء ولا شر

واما شيخ الكويت فقد اتفق مع الانكليز وعاونهم في الاستيلاء على البصرة ، بعد ان وعدوه بالمحافظة على استقلاله ، وامدوه بالمال والسلاح وهذا كان كل ما يطلبه ويريده

وكذلك اتفق الانكليز مع الادريسي امير العسير ، وكان هذا قد صارح الترك بالعداء قبل الحرب ، ولم يرض بسلطانهم ، ولا قبل سلطتهم

ونظر الانكليز الى شريف مكة وحفيد الرسول المعظم فوجدوا انه اكثر فائدة لهم من سواه ، وان اتفاقهم معه عائد عليهم بالربح الوفير ، والفائدة العظمى ، فتحدثوا اليه فوجدوه سهلا لينا ، خصوصا بعد ان اخذ الترك يعنون بتشريد احرار العرب وقتلهم

وشنقهم ، مما لم يستطع الحسين عليه صبراً ،فاتفق مع الانكليز واعلن الحرب على الترك ، ونزل بنفسه واولاده الى ساحة المعركة

ولقد كان ابن سعود معلقاً بالدائرة السياسية لحكومة الهند ، وهناك دائرة سياسية اخرى كانت تعني بشؤون البلادالعربية وهذه الدائرة كانت تتخذ لها مقراً في دار المندوب السامي في القاهرة

والقاهرة اقرب الى لندن من الهند ، والقاهرة هي التي انتخبت الشريف حسين ليكون قائد الثورة العربية في الجزيرة ، وهي التى اجرت عليه العطاء ، وارسلت له الذخائر ووعدته بالاستقلال والحرية والوحدة العربية

والواقع ان الانكليز قد ضاقوا ذرعاً بالشريف حسين قبيل المفاوضات ،فقد كان له معهم في كل يوم شأن ، وفي كل ساعة مطلب ، وكان الانكليز قد روجوا في انحاء العالم خصوصاً في الهند الى اتفاقهم معه وهو ابن الرسول — بحيث لم يعد بطوقهم ان يتركوه ويتخلوا عنه ، فاعطوه كل ما طلب ، وزادوه كثيراً .

طلب ان يكون ملكاً ، فاعلنت ملكيته في ٣٠ حزيران من سنة ١٩١٦ ، وبينما كان ابن السعود في هذه الفترة يقاتل خصومه في الجزيرة وقلب نجد ، كان الملك حسين يذيع البيان تلو البيان عن ملكيته الجديدة وواجبات العرب نحو وحدتهم وماضيهم ومليكهم الجديد .

وكذلك استطار اسم الشريف الى اقصى الارض ، بعد ان كان لا يعرفه احد ، ولا يسمع به انسان ، حتى ان مجلس النواب الافرنسي قرر في ٨ ايلول من سنة ١٩١٦ مبلغاً قدره ٣٦٥٠٠٦٠٠٠ من الفرنـكات يرسل هدية الى الملك الجديد .

ووصلت البعثة الافرنسية الى الحجاز وعلى رأسها قدور بن غبريط ، والكولونل بريمون ، وكانت خطب وولائم ، اثارت حسد الانكليز وجعلت الدائرة السياسية في القاهرة تفكر قليلاً ...

اما الجيش العربي — او الجيش الحجازي — فلم يكن في هذه الفترة يستطيع عملاً محسوساً ، وان كان الكولونل لورانس يعمل المستحيل لاخراجه من جموده ، وزحزحته عن مكانه ، وتشتد حكومة الهند فتطلب احتلال المدينة التي كان الترك لا يزالون فيها ، ولكن الحسين يأبى ذلك قائلاً : ان الترك اقوياء ، وانهم قد احسنوا تحصين انفسهم فليس يستطيع جنده منهم نيلاً ...

....

لقد كانت (الدائرة العربية) في القاهرة تضم نفراً من خيرة الناس ذكاء وعلماً وثقافة ، ولكنهم كانوا من الاخصائيين في فنونهم ، فقد كان احدهم صحافياً مشهوراً ، وكان الثاني محامياً معروفاً ، والثالث موظفاً نابهاً في حكومة السودان ، والرابع ضابطاً في الحربية ، وكان الخامس ، مس (بل) المعروفة في عالم الحفريات والآثار

بعلمها وفضلها ، ولكن هؤلاء جميعهم كانوا كما يرى القاريء بعيدين عن تفهم روح السياسة الانكليزية الحقيقية ، و كانوا ينظرون فقط الى قسم من الجزيرة ويتجاهلون القسم الثاني الذي كان تحت نفوذ حكومة الهند ، فكان حقاً والحالة هذه ان يكون نظر (الدائرة العربية) الى الجزيرة ضيقاً ، وان يكون خاطئاً ..

و كانت حكومة الهند تعتقد كل الاعتقاد بنجاح ابن السعود في المستقبل وتقدمه ، وسيطرته على الجزيرة كلها ، وان الحسين فاشل امامه ، و كانت الى ذلك ، وبعد مقتل الكبتان شكسبير بحاجة الى شخص ترسله الى الرياض ليكون ممثلاً لها فيها ، فعثرت فجأة على المستر ستورت جوهن فيلبي الذي كان في ذلك الحين موظفاً بسيطاً في البصرة ، ولكنه لفت الانظار اليه بنجاحه في امور كثيرة فشل سواه بها ، خصوصاً في مقاومته لعيون الالمان وجواسيسهم ، فقررت حكومة الهند انفاذه الى الرياض ممثلاً لها ووكيلاً ...

....

وفي هذه الاثناء حمل الانكليز وفداً من الهنود على زيارة الملك حسين ، وقد حمل الوفد معه هدية نفيسة الى المليك العربي ، فتقبل الحسين الهدية ، ولم يعط رئيس الوفد هدية مثلها بل اكتفى بان اهداه قطعة من ستار الكعبة ، ولما عاتبه الانكليز ونصحوه بمسايرة

الهنود قال لهم : الهنود ... اني ابصق عليهم

واخذ يبصق فعلا على الارض عدة مرات - بل لقد ظل يفعل ذلك ما يقرب من نصف ساعة

وهذه القصة قد قصها الماجور براي الانكليزي في كتابه عن الجزيرة العربية

اما الهند — اي الحكومة الهندية - فلم تكن تؤمن ابداً بالحسين ومملكته ، وكانت الدائرة العربية في القاهرة قد اخذت بدورها تفقد ثقتها به ، وعندئذ تحركت حكومة الهند وقررت ان تعمل منفردة عن القاهرة فارسلت وفداً قوامه فيلبي واللورد بلهافن الى ابن السعود ...

....

وتقبل ابن السعود الوفد بترحاب واكرام ظاهر ، واظهر له انه لن يخرج عن حياده ، وانه يفضل ان يظل في الوقت الحاضر ساكناً هادئاً ، وتم الاتفاق بين الانكليز وزعيم نجد على هذا الحياد ، ودفع الانكليز ثمنه خمسة آلاف جنيه في الشهر الواحد

وطلب الانكليز من ابن السعود مهاجمة ابن الرشيد في حايل ، فاشترط ابن السعود ان يساعدوه كما يساعدون الملك حسين ، وان يمنعوا شيخ الكويت والحسين عن مهاجمته من الوراء ، كما تعودا ان يفعلا كلما استطاعا الى ذلك سبيلا

والواقع أن ابن السعود اخذ يحس ان واجبه يقضي عليه قبل مهاجمة خصومه ، ومحاربة اعدائه ، ان يرتب شوءونه الداخلية ، التي كانت بحاجة قصوى الى عنايته واهتمامه

لقد مضت عليه سنوات وهو يحارب خصومه ، ويرد كيد اعدائه ، وكان في كل هذه المدة بعيداً عن الرياض وقصره ، فلم يتمكن حتى من ترتيب قصره وفرشه بحيث يستطيع ان يستقبل فيه زواره استقبالا حسناً شائقاً

ولقد تقبلته القبائل كاميرها وسلطانها ، لانه كان قوياً بطاشاً ، وكان يعلم انها اذا احست منه ضعفاً نفرت عنه وثارت عليه ، ثم ان مملكته نفسها كانت مقسمة الى اجزاء كثيرة ، لم يكن يربطها ويوءلف بينها غير شخصه القوي ، وقوته الخارقة ... ولم تكن هناك حكومة ولا نظام ، لقد كانت الحكومة ابن السعود ، وكان النظام معلقاً بسوطه ، وكان من الحق والحالة هذه ان ينظر زعيم العربية الى كل هذا ، وان يعمل على انشاء نظام اداري يرفع عنه كثيراً من المسوءوليات والمتاعب

لذلك رأيناه يعين في كل بلدة حاكما وشيخا للمحافظة على النظام وجمع الضرائب ، وقد اختار هوءلاء الحكام والشيوخ بعناية زائدة وجعلهم مسوءولين عن مناطقهم وامصارهم ، كما جعلهم مسوءولين ايضا عن بعضهم بعضا ، بحيث كان من واجب واحدهم ان ينبه رفيقه

الى الخطأ يبدر منه ، فان لم يرتدع رفع امره الى سيد الجزيرة ابن السعود حالا

....

وبذلك استطاع ابن السعود ان يسيطر بقوة وشدة على كل المناطق الواسعة التي كانت تحت سلطانه وامره



١٣

عبد العزيز بن السعود

نحن الآن في سنة الف وتسعمائة وسبعة عشر ، وابن السعود في السابعة والثلاثين من عمره ، والحالة في الجزيرة هادئة لا يعكر صفوها غزو ولا حرب .

ولقد يصح منا وقد عرضنا لحروب ابن سعود وجهوده ، وما نذره من تطهير الجزيرة وتحريرها عرضاً وسيعاً رحباً ، ان نتناول شخصيته ، وان نعرض له عرضاً رقيقاً ، نلم فيه بهذه الشخصية الفذة ، حين يحتويها المنزل ، وتجلس للانصار والاعوان تحاورهم وتحدثهم ، وتأخذ باطراف الحديث على قدر ، فان في ذلك تتمة لما بسطناه من تاريخ سيد الجزيرة ، وما اتينا على وصفه من شأنه وامره واحداثه .

والواقع ان عبد العزيز ابن سعود رجل كبير القلب كبير النفس كبير الوجدان ، انتهت اليه الفضائل العربية جميعها ، بعيد عن الادعاء ، خلو من التظاهر والتصنع ، صادق في قوله ، كريم في بذله وعطائه ، مخلص في ما نذره من توحيد العرب واعادة ماضيهم الزاهر وامجادهم الغابرة .

بسيط في مأكله ومشربه وملبسه بعيد كل البعد عن الوان الرفاهية في مفاصيره وغرفة منامه ، مكثر من شرب القهوة والشاي لا يعرف من الاشربة غير الماء ، قليل النوم ، كثير التيقظ ، عظيم الانتباه ابداً . يعمل بسرعة ، ويصدر قراراته في ما يستقر عليه رأيه بمثل ذلك ، فاذا اراد كتابة شيء املى ما يريده الى اثنين من اعوانه ، وقد يملي للاثنين موضوعين مختلفين في وقت واحد .

يعيش في الرياض في شيء من الرفاه والمجد ، وقد زاد في عمارة القصر حتى اصبح كبيراً بحيث يوازي ثلث المدينة ، واما غرفة الاستقبال فكبيرة جداً بحيث تسع ثلاثة آلاف شخص .

ولديه في الرياض عدد عظيم من الخدم ، وحرس قوي ، بعضه من العبيد السود ، والبعض الاخر من ابناء نجد ، وقد صار اختيارهم لهذا المنصب بعناية عظيمة ، لما فيه من دقة وخطورة .

وتظل ارض القصر وما يحيط به من اديم مليئة بالناس الذين يقصدون مطابخ ابن السعود التي تعمل ليلا ونهاراً

كريم الى حد الاسراف وقد قص احد رجاله علي بعضهم بانه لا يعرف شكل العملة ، ولا يفرق بين قطعها والوانها ، وقد عتب عليه احد رجاله يوما ، وسأله ان يفكر بالاقتصاد قليلا ، فقال له : وهل اغنت عن عبد الحميد ملايينه ، ان اجدادي لم يحملوا في خزائنهم فلسا ، وانا اسير سيرتهم ، وافعل مثل ما فعلوا

يزور اذا كان في الرياض عائلته وابنائه وصغاره وزوجاته كل يوم ، متفقداً حالهم ، متلطفا في السؤال عن حاجاتهم واغراضهم

واما غضبه فانه عظيم مخيف ، ويعرف رجاله فيه ذلك فلا يجرأ احد على التحدث اليه ، حين يكون ثائراً غاضبا . ولكنه غضب يزول بسرعة البرق ، فاذا كان مخطئا اعترف بخطأه ، وكأن شيئا لم يكن ...

حلو الحديث ، جميل المخالطة ، لطيف المعاشرة محب للحديث والحوار ، راغب في المعرفة ، طالب للعلم ، مكرم للعلماء ، مجل لاهل الفضل والادب . وكثيراً ما يجلس لاصدقائه وانصاره يحاورهم ويحدثهم ويجادلهم ويجادلونه ، فيقرعونه بالحجة ويقرعهم بالبرهان ، ثم انه ارغب ما يكون في الاجتماع مع الغرباء يسمع منهم اخبار بلدانهم وامصارهم وما يتصل مع هذا ويتعلق به من اخبار السياسة واحداث الزمن

ومن غرائبه انه لا يحتاج للنوم كما يظهر ، ولا ينام الا حين لا يرى احداً غيره ساهراً ، واذا نام فلا ينام الاثلاث او اربع ساعات ولو خير لجلس الليل كله يتحدث الى احد رجاله من الذين يروق له حديثهم وتلذ له عشرتهم

وابن السعود من الرجال الذين يستمعون ويحسنون الاستماع ، فان وجد في الحديث خيراً تقبله وفعل بموجبه ، وهو الى ذلك ليس

عنيداً في افكاره ، صعباً في ما يرتأيه من رأي ، ويريده من امر
رأى انه بحاجة الى مدير مال فعين واحداً لذلك هو السيد
عبدالله سليمان ، وقد قال المسيو زيشكا عنه : بان الامير كيين الذين
تحدثوا اليه واجتمعوا به قالوا : انه ليس اقل من زملائه روءساء
البنوك في نيويورك ذكاء وخبرة ودهاء ، وقد يزيدهم بشيء آخر
وهو انـه امين مخلص ٠

وبازدياد نفوذ ابن السعود السياسية ، ازدادت الحاجة الى
اعوان من السياسيين يساعدونه في اعماله ، ويكونون رسله في مختلف
المواطن والامصار التي له علاقة بها ومصالح مع اصحابها ٠

وكان لابن السعود منذ مدة مندوب سياسي في الكويت ،
وآخر في البصرة ، وقنصل في دمشق ، ولما وجد الحاجة ماسة الى
اكثر من ذلك استدعى الدكتور عبد الله الدملوجي اليه ، وهو
شاب من العراق يعرف لندن وباريس حق المعرفة ، وبمساعدة
الاستاذ فؤاد بك حمزه الذي اصبح اليوم وكيلاً لوزارة الخارجية
السعودية ، انشأ الاثنان دائرة سياسية تعني كل العناية بتتبع
الحركات السياسية العربية الشرقية في كل البلاد العربية المجاورة
والبعيدة ٠

اما وزير القضاء فهو عبدالله ابن جلوى حاكم الحساء وصاحب
اليد الشديدة التي يضرب بها المثل في طول الجزيرة وعرضها ،

والذي ما يذكر اسمه امام البدوي الا ويضطرب قلبه خوفاً ووجلاً

وما عدل ابن السعود وجلوي غير الشرع ، اضف اليه قسوة لا بد منها في البادية لمن يريد الاصلاح والاحسان ، فمن يدخن يبسط على الارض ويضرب بالرطب من عسيب النخل ، وكذلك شأن من لا يصلي ، والاحكام الباقية معروفة ، وهي تنفذ بسرعة ودون محاباة ولا تردد ، وقد كان استتباب الامن في الجزيرة اول مظهر من مظاهر هذا العدل الشديد القوي ، فقد يسير المسافر بمفرده ومعه المال على الجمال لا يعرض له في طريقه احد ، ولا يسأله عن شأنه بدوي ، وكان لاعوام خلت ما يستطيع ان يسير الا في العصبة من الرجال ، ومعهم السلاح والحديد ، ثم لا يوفقون الى السلامة ابداً .

وقد وفق ابن السعود في امرائه ، وهم مثله عدلا وشدة ، واشهر هؤلاء الامراء عبدالله بن جلوى امير الحساء كما قدمنا وهو اكبرهم همة واشدهم تعصبا للعدل ، يجلس في كرسي القضاء وحده ، فلا تجلس معه الرحمة ولا المحاباة ، يأمر بالقطع والنطع ولا يبالي ، اسمه يرعب المجرمين ، وذكره يثير الخوف في قلوب الكثيرين

لقد ضرب يوما ابنه بيده ، بل لقد بسطه على الارض واعمل فيه السوط لانه اهان شيخا ، ضربه وهو يقول : اذا كنا لا نبدأ

بانفسنا فكيف نعدل في غيرنا

وجاء ذات يوم الى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة اشد القبائل توحشاً وبداوة ، يطلبون عيشاً و كسوة ، فكان لهم ما يبغون ثم ارتحلوا فمروا في طريقهم ببعض الاباعر ترعى فساقوها امامهم ، فشكاهم اصحابها الى السلطان عبد العزيز بن السعود فبعث السلطان بنجاب يحمل الخبر الى امير الحساء فما وصل الخبر اليه ، حتى تحركت اسباب العدل تبحث عن الاشقياء اللصوص وما هي الا اربعة وعشرين ساعة حتى جاؤا بهم والابعار المسروقة ، ومثلوا امام عبدالله بن جلوى وكان سوءال وكان جواب ، ثم امر بهم الى الساحة

وساحة الاعدام شيء هائل فظيع ، يركعون فيها المذنب على ركبتيه ، ثم يرقص امامه معاون الجلاد ليلهيه عن السيف المرفوع فوق رأسه ، ثم يكزه السياف وكزة سريعة يتحرك معها الرأس الى الامام ، فيتقلص عصب الرقبة ، فيضربها السياف اذ ذاك ضربة واحدة ، يطيح معها الرأس الى الارض

وفي ذلك اليوم لمع سيف السياف لمعات ثمان في ساحة الهفوف فوقعت على الارض ثمانية رؤوس من بني مرة ، وكان حديث عن هذا العدل السريع ، اصبحت معه القوافل تسير ثمانمئة ميل شرقاً وغرباً ، وثمانمئة ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود ، ثم لا يتعرض لها احد بخير ولا شر .

١٤

موقف دقيق ، وموت عزيز

لم تضعف الحرب العامة من شأن ابن السعود ، ولا هي زادت في سلطانه وامصاره ، واذا كان سيد الجزيرة قد وقف فيها موقفاً محايداً ، فانه قد انصرف في الاشهر التي اضطربت بين حاشيتيها الى العناية بشؤونه الداخلية ، وترتيب اموره ، وتثبيت سلطانه في نجد وبين قبائلها وشيوخها .

فلما اشرفت سنة ١٩١٨ كان ابن السعود يملك في الجزيرة ما كان يملكه اول الحرب ، ولكن الحالة في الجزيرة كانت قد تبدلت قليلاً ، فقد انسحب منها الترك وحل محلهم الانكليز ، وكان سليم قد اصبح شيخ الكويت ، وهو كما يعرف القارىء كرهه لابن السعود ورغبته في انهيار سلطانه وتمزيق امره ، واما آل الرشيد فكانوا لا يزالون في حايل وان كان شأنهم قد اصبح ضعيفاً وامرهم هيناً ، بانهيار سلطان الترك وانسحابهم من الجزيرة ، وكان امام اليمن يحكم جنوبي الجزيرة في صنعاء وما حولها من امصار ومواطن ، واما الحسين بن علي ، فقد اصبح اكثر ثقة بالوصول الى امانيه اوحلامه بعد انهيار سلطان الترك وتقدم الانكليز ، حتى انه كتب

الى ابن السعود يطلب منه ان يعترف له (بالملكية على البلاد العربية) وان يترك قبائل عتيبة وشأنهم لا يعرض لهم بسوء ولا خير ·

وكان الكتاب جافاً قاسياً ، اثار حفيظة ابن السعود واغضبه ولكنه تمالك نفسه ، وقد ايقن انه ولا بد مشتبك مع الحسين في قتال عنيف ، يكون عظيم المصاير بليغ الاثر ، وان الحكمة تقضي عليه في الوقت الحاضر ، بالتريث وترقب الفرص السانحة ، والاستعداد للساعة الرهيبة ، ولم يكتف ابن السعود بذلك بل بعث رجالاً من المبشرين الوهابيين يروجون للوهابية بين قبائل عتيبة ويدعونهم الى الايمان بها

ووفق رسل الزعيم كل التوفيق ، فقد استمعت عتيبة الى الدعوة ، وصادفت عند اكثرهم قبولاً وارتياحاً ، وكان اهل (خرما) اكثر الجميع قبولاً لها ورضى بها ، فتقبلوها وزعيمهم خالد ابن لؤي واعلنوا انضمامهم الى نجد وسلطان نجد ·

وكانت (خرما) بلدة تجارية مهمة ، تبسطت في واحة خصبة كثيرة النخيل ، وكانت مركزاً لمنتوجات الحجاز يقصدها سكان اهل نجد للتجارة والاتجار · وكانت فوق ذلك مفتاح الحجاز اذ كانت بمركزها البديع تسيطر على طرق المدن الحجازية الثلاث ·

وابى الحسين ان يرضى بالامر الواقع ، فارسل ثمانمائة من رجاله لاسترجاع البلد وتأديب ابنائها فهزمهم اهلها بمساعدة بعض القبائل

العربية وردوهم على اعقابهم ، وعندئذ سرت في طول نجد موجة غضب وحقد ، وطلب الوهابيون والاخوان من سيد الجزيرة ان يصدر لهم الامر بالذهاب الى خرما لمساعدة اهلها وصد هجمات الحسين عنها ، ولكن ابن السعود هدأ روعهم ، وقال لرجاله وانصاره:

— يجب ان ننتظر ايضاً فان الوقت لمهاجمة الحسين لما يأزف ...

....

والواقع ان سيد الجزيرة كان من ارغب ما يكون في مهاجمة الحسين والحجاز ، ولكن البعثة الانكليزية وعلى رأسها المستر فيلبي كانت تنصحه بالتريث والهوادة ، وتحاوره قائلة : ان الحسين من انصارنا فمهاجمته تعد خرقاً لحرمة المعاهدة بيننا وبينك

واذا كان ولا بد من مهاجمة شخص ، ومحاربة جماعة فعليك بآل الرشيد فانهم يستحقون العقاب والتنكيل .

ولكن الموقف في خرما كان يستحق الاهتمام ، فقد ارسل الحسين قوة ثانية عليها ، فردها سكان المدينة ، وارسلوا يطلبون من ابن سعود المساعدة والامداد ، ولكن ابن سعود لم يكن يستطيع ان يفعل شيئاً .

وتطور الموقف فثار الاخوان والوهابيون من سكان الرياض ، واضطرب العلماء ، واخذ الجميع يطلبون من ابن السعود ان يمشي الى خرما وان يصد العدو الكافر عنها ، ولكن فيلبي كان بالمرصاد

يمنع ابن السعود من اثارة حرب ، او ارسال مدد ، وكان سيد الجزيرة في موقف اقل ما يقال فيه انه خطير فظيع ، وكان كثيراً ما يتحدث الى فيلبي قائلا :

— كيف تكونون اصدقائي وتسمحون لسليم احد انصاركم واعوانكم بان يدفع العجمان لمهاجمتي ، ثم كيف تطلبون مني مهاجمة آل الرشيد ، وسليم شيخ الكويت يرسل لهم الذخائر والاقوات لمحاربتي ، ثم كيف تمنعوني عن مهاجمة الحسين ، وتدفعون للحسين مالا لمهاجمتي، ان كل هذا ، يستدعي الفكرة ويستوجب النظر ، وكان فيلبي في الواقع عاجزاً عن تفسير هذه الالغاز لسيد الجزيرة، ولكنه كان يكتفي بالقول بان هناك دوائر سياسية انكليزية مختلفة وان كل دائرة تعقد المعاهدات مع هذا وذاك ، فينتج من كل ذلك هذه الفوضى التي ترى

...

وجاء رمضان شديداً قاسياً واصبح سيد الجزيرة مثقلا تعباً ، مضطرب الفكر مشتت الخاطر ، لا يوفق الى الرأي الذي يستقر عليه وكان كثيراً ما يتحدث الى فيلبي — الذي كان دائماً عنده — بانه قد لا يستطيع صبراً على انصار الانكليز من اعدائه الذين لا يبرحون يعرضون له ، ويغشون حدوده وامصاره وبلدانه ...

وارسل الحسين في هذه الاثناء حملة ثالثة على خرما ردها اهلها، ولكنهم

اخذوا يضيقون ذرعا لما علموا بان الحسين يجهز عليهم حملة رابعة قوية فيها مدافع وسلاح كثير ،

وعندئذ ارسل اهل خرما الى سيد الجزيرة يقولون :

— لقد ارسلنا رسلنا لك غير مرة يسألونك المساعدة ، فهل تريد عرض الدنيا ام الآخرة ، وانك ان لم تساعدنا هذه المرة ارسلنا نساءنا تثير نجداً طولها وعرضها

وعرف الناس برسالة اهل (خرما) فثارت نجد من اقصاها الى اقصاها ، واعلن الاخوان الى سيد الجزيرة انهم يسيرون بدونه ، اذا لم يقودهم بنفسه الى خرما ومكة والحجاز ، واشتدت معارضة الشيوخ ، فاخذوا يتحدثون في اجتماعاتهم عن تضحية ابن سعود لمصالح الاسلام والدين اكراما للانكليز ..

واحس سيد الجزيرة بان نفوذه يوشك ان ينهار ، وان عليه ان يقف موقفا جديداً وان يتخذ لنفسه رأيا جديداً

وعندئذ وفي هذه الفترة ، وصلت الاخبار الى الرياض بان الحسين قد اتفق مع آل الرشيد وسليم شيخ الكويت على مهاجمة نجد ، وانه اخذ يجمع الرجال ، واخذ سليم يثير العجمان ، وقام آل الرشيد يسألون قبائل شمر المعونة والتأييد

....

واجمع عندئذ سيد الجزيرة امره على محاربة ابن الرشيد بعد ان

اخذ وعداً من فيلبي بان يرد الانكليز سليماً والحسين عنه فلا يعرضون لامصاره بشر

ونظر ابن السعود الى العلماء فتحدث اليهم بشدته المعروفة قائلا : «ان العدو الاكبر هو آل الرشيد ، واما الحسين فان الانكليز يستطيعون ايقافه عند حده ، واما هذا فان الترك يساعدونه بالمال لاحتلال نجد وتدمير قراها وقتل نسائها، وانتم تعلمون مصيركم فيما لو وفق آل الرشيد الى ما يريدون منكم »

ولما آمن الشيوخ باقواله ، ونزلوا عند رغبته ارسل الى امصار نجد وقراها يطلب المقاتلة والفرسان ، فجاؤه مسرعين مبادرين ، وهم اشوق ما يكونون الى الحرب ، ولكنهم يريدونها حرباً مع الحسين ، الا ان سيد الجزيرة اقنعهم بضرورة محاربة آل الرشيد اولاً ، فهم الاعداء الذين يؤيدهم الترك ، ويحاولون دفعهم لمحاربتنا واذلالنا اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً .

. . . .

وبعد شهر مشى سيد الجزيرة الى حايل فوجد ابن الرشيد قد علم بقدومه فتحصن فيها ، فلم يشأ ابن السعود ان يحاصر المدينة فتركها وشأنها ، ولكنه اخذ كثيراً من الماشية والغنائم من حولها ، وبعد ان سأله ابن الرشيد الصلح ورضي به ، رجع الى الرياض فاتحاً غانماً .

وبينما كان سيد الجزيرة في طريقه الى الرياض ، كان الانكليز يتقدمون فى العراق وسوريا ، و كان الترك قد اخذوا يتراجعون امامهم حتى اخلوا البلاد العربية كلها

وما كادت تنتهي الحرب حتى كانت الانفلونزا تعيث فساداً في العالم ، ولقد وصلت الى البلاد العربية وامتدت الى نجد والرياض فاردت بالكثيرين حتى لم يترك الموت داراً لم يدخلها ، وكان من جملة ضحايا هذا الوباء الامير تركي كبير ابناء سيد الجزيرة ، والاميرة جوهرة الملكة المحبوبة في بلاط مليك العربية .

....

لقد كانت الصدمة شديدة قاسية ، ذلك ان صاحبة العصمة جوهرة كانت احب نساءه اليه ، واقربهن الى قلبه ، هذا الى انها كانت اميرة سعودية تربطها وابن السعود اواصر رحم ونسب

لقد بكاها كثيراً ، وندبها طويلاً ، واقفل عليه باب غرفته فكان لا يكلم احداً ولا يحدث انساناً ، وامر بمقاصيرها في القصر فاقفلت ، وباغراضها فتركت على حالها ، وذهب يزور قبرها في يوم الجمعة من كل اسبوع باكياً متوجعاً اسفاً نادباً ...

١٥

سيف الوهابية

لقد شغلت محاصرة المدينة الامير عبد الله عن التفكير بابن السعود فترة من الزمن ، فلما سقطت المدينة واستسلمت حاميتها بعد انهيار سلطان الترك وطلبهم للصلح ، مشى عبد الله الى قبائل عتيبة يحرضهم على الثورة ، ويحاول استرجاع (خرما) ، فرأى ابن السعود الفرصة سانحة للانتقام من خصومه ، فاخذ يستعد بدوره ويجمع الاجناد والمقاتلة ، وعندئذ عرض الانكليز وساطتهم ، وبينما كان الحسين بن علي يستعد علناً وعلى ملأ من الناس ، كان سيد الجزيرة يجمع حوله الجند والاجناد دون ماضجة ولا اعلان .

وعقد الانكليز عندئذ موءتمراً في القاهرة بحثوا فيه الموقف ، فاذا بهم لا يستطيعون الخروج عن الاعتبارات الآتية : من ان الحسين صديقهم وحليفهم ، وان عليهم معاونته ونصره ، هذا الى انهم كانوا يثقون بانتصاره على سيد الجزيرة ، فقرروا عندئذ تأييده واوعزوا الى ابن السعود بان يرد (خرما) اليه ، او يضطرون لمساعدة الحسين بكل ما في وسعهم ، وقد لا يتأخرون عن قطع الاعانة الشهرية المقررة لسيد الجزيرة .

وسكت سيد الجزيرة ملياً ثم قال : اما النصر فهو بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده ، واما قطع الاعانة ، فانه امر يجعلني حراً اساير السياسة التي توافقني ولا تضير بمصالحي .

....

وتقدم الامير عبد الله نحو (خرما) على رأس جيش لا يقل عن اربعة آلاف مقاتل ، وعشرة الاف بدوي ، فلما وصلوا الى (تربه) وهي قرية تقع على مسافة اربعين ميلاً من جنوبي غربي واحة (خرما) قرروا قضاء الليل فيها و كان ذلك ليلة اليوم الرابع والعشرين من مايس سنة ١٩١٩ .

و كان ابن السعود مع رجاله على مقربة من خرما ، ولكن خالد ابن لؤي كان اقرب الجميع الى (تربه) ، فلما علم بقدوم عبدالله ورجاله و كانت خرما تعج بالاخوان من الذين استبقوا الجيش ، واخذوا ينتظرون قدوم الامير عبد الله لاقتحام جيشه وتبديد صفوفه ، جمع خالد ما لديه من الرجال والاخوان والمقاتلة ومشى بهم ليلاً الى (تربه) ، وسقط على الجيش النائم واخذ رجاله وعلى رأسهم الاخوان يهجمون على الجند هجوم الذئاب يذبحونهم ويقتلون ما يشاؤون منهم حتى اصبح الصباح ، فاذا المجزرة هائلة ، واذا الجيش الحجازي قد فني عن آخره ، ولم يبق من رجال الامير عبد الله غير مائة هربوا عراة في الظلام ، وهرب الامير نفسه معهم بقميص نومه

ولما وصل ابن السعود في اليوم التالي الى المكان الذي وقعت فيه (المجزرة) عرته رجفة حين شاهد بعيني رأسه ما يقرب من خمسة آلاف جثة ممددة على اديم الاض ، ومن المؤكد انه لم ير في حياته مثل هذا العدد الكبير من القتلى في مكان واحد

وفكر ابن السعود بان يمشي الى مكة ، ولكن الانكليز نصحوه بان لا يفعل ، وقدر سيد الجزيرة قوة الانكليز ، فرأى ان يسايرهم ، ورأى ان يترك اقتحام الحجاز الى موعد آخر ، وكان على مثل اليقين من انه مقتحمه وفاتحه في وقت قريب ٠

....

لقد شغلتنا حادثة (خرما) عن مؤتمر الصلح وما كان للعرب من شأن فيه ، لقد وعدهم الحلفاء في الحرب العامة بالاستقلال والحرية والوحدة ، فلما انتهت الحرب لم يفوا لهم بوعد ، ولم يقوموا بعهد ، وفشل الكولونل لورانس كذلك في ما راح يروج له من جعل الامير فيصل ملكاً على سوريا والبلاد العربية ، وقد كان لورانس المستشرق الوحيد الذي كان مقرباً من ويلسن ولويد جورج وكلمانصو ، ولكن هذا لم يبدل السياسة العامة للدول المختلفة ، والتي كانت تناقض كل المناقضة وعود هذه الدول ودعاياتها مدة الحرب ، فثار تأثر لورانس عند ذلك ، واحتقر نفسه ان يكون وسيلة للغش والكذب ، واسف على الدور الذي لعبه في البلاد العربية ، ولم ير

كبير امر في التحدث برأيه هذا الى جلالة الملك جورج الخامس لما قابله ، فقد قال له : انه لا يريد وساماً للدور المؤسف المعيب الذي لعبه في البلاد العربية ، والذي راح يكذب فيه على هذا الشعب ويمنيه بالاستقلال والحرية ، ثم يأبى الحلفاء ان يعطوه ما وعدوه به ، واقسموا له بانه سيكون ...

والواقع ان السياسة الانكليزية بعد الحرب كانت مضطربة ظاهرة القلق في ما يتعلق بالسياسة العربية ، فقد كانت حكومة الهند تناصر ابن السعود و كانت لندن تناصر الحسين بن علي ، وهي تقول ، لقد وعدناه بالبلاد العربية ، فلم نعطه شيئاً منها ، افلا نترك له الجزيرة العربية يسيطر عليها !! والظاهر ان لندن كانت تجهل قوة ابن سعود وسلطانه وضعف الحسين وسوء امره ، ولولا ذلك لما تمسكت به الى هذا الحد الغريب

واغرب من ذلك ان لندن فكرت بعد حادثة (خرما) بمساعدة الحسين عسكريا لولا معارضته وزارة الحربية التي راحت تقول : « ان الجنود لا يستطيعون قتالاً ، وان ليس هناك بواخر لنقل الجنود الى جده » مما اضطرت معه الوزارة الانكليزية واللورد كرزن على رأسها الى نبذ الفكرة او تأجيلها على الاقل ...

ويجد الحسين بن علي ان آماله في الوحدة العربية وزعامتها لم تحقق ، وتعلن اتفاقية (سايس بيكو) فاذا بها تنص على تقسيم سوريا

والعراق بين الافرنسيين والانكليز ، ثم يعلن وعد بلفور فاذا به يجعل لليهود حقاً في التوطن في فلسطين وانشاء المزارع والقرى في امصارها واغوارها

ويأتي لورانس الى جده يحاول ارضاء الحسين وحمله على قبول معاهدة جديده ؛ يرضى بها بالامر الواقع والتقسيم الحاصل ، فيأبى الحسين ويعود لورانس فاشلا

لقد كانت طعنة الحلفاء شديدة قاسية تقبلها الحسين بن علي غاضباً ناقماً ثائراً ، وظل يذكرها مدى الاعوام التي قضاها حياً ، وابى كل الاباء الاتفاق مع الانكليز على معاهدة جديدة ، وظل يطالب بالوعود القديمة والاقوال السالفة

ولكنه لما احس بفشله من هذه الناحية اخذ يفكر بابن السعود ، فبعث بالكتب الى امراء حائل والكويت وعسير يحرضهم على قتال سيد الجزيرة ، ووقعت هذه الكتب بيد ابن السعود فرأى ان يستبق خصومه قبل ان يستبقوه

فارسل ابنه الامير فيصل على رأس خمسة آلاف مقاتل لاقتحام (العسير) فافتحها واستولى على (ابها) عاصمتها (١٩٢١) وعاد الى الرياض مكللا بالغار

واضطرب الحسين بن علي لاقتحام ابن سعود للعسير ، واسقط في يده لما رأى عدوه في تقدم ونجاح مستمر ، وما كاد يفيق من

دهشته حتى كان سيد الجزيرة قد ارسل قواته لاقتحام حايل وتدويخ امصارها

وتقدمت القوات السعودية في ثلاث كتائب نحو حايل ، فلم تطق هذه وقوفاً امامها ، فتنازل عبدالله ابن متعب اميرها عن العرش ، وسلم نفسه لابن السعود الذي ارسله الى الرياض مكرماً مبجلا .

ولكن قبائل شمر لم ترض بالاستسلام ، فحاربت الوهابيين زمناً ، وكان محمد بن طلال قد قام مقام آل الرشيد واخذ يحارب ابن سعود على رأس من اطاعه من قومه ومن قبائل شمر ، ثم ذهب يتحصن في حايل ولكنه اضطر اخيراً للاستسلام فارسل الى الرياض اسيراً

وبذلك انهارت امارة ابن الرشيد ، بعد ان لعبت دوراً خطيراً في الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

واصبحت حايل مصراً نجدياً يحكمه امير من امراء سيد الجزيرة

وقد وفق ابن سعود الى منع رجاله من اكتساح حايل ونهبها بعد ان استسلمت وطلبت الامان والسلام ، وزار ندى فوزع على سكانها بعض الاقوات ، وكان هذا العمل شيئاً جديداً لدى سكان المدن القريبة الذين كانوا يعتقدون ان الوهابيين بعد اكتساحهم حايل لا بد وانهم سيقتلون اهلها ويحرقون منازلها ، ويتركونها طللا بالياً

وعاد ابن السعود فرأى ان يمكن اواصر المودة والالفة بينه وبين

خصومه من آل الرشيد ، فتزوج احدى بناتهم ، وامر نجله وولي عهده سعود بان يحذو حذوه

وبعد هذا الانتصار على آل الرشيد ، اجتمع علماء نجد وقادتها واصحاب الامر والنهي فيها ، واتفقوا فيما بينهم على تنصيب ابن سعود ملكا على عرش نجد وملحقاتها ، و كان الاحتفال فخما عظيما في العاصمة ، وقد طلب على اثره سيد الجزيرة ان تعترف به انكلترا، فاجابته الى ذلك في شهر آب من سنة ١٩٢١ وبذلك اطمأن ابن سعود الى ان مركزه قد توطد ،وان امره في ظهور وانتصار

....

وليس يسعنا ان نختم فصلنا هذا دون ان نشير الى الزيارة الاوربية التي قام بها الامير فيصل آل السعود الى لندن قبل قيادته للجيش الذي اكتسح العسير ، فقد سافر الامير فيصل الى لندن مع عمه احمد بن ثنيان فلما زارا وزارة الخارجيةالانكليزية استقبلهما كبتان من موظفيها بفتور ظاهر ، وعدم اهتمام بالغ ، مما حمل فيصلاً على القول : بانه اذا زار هذا الكبتان البلاد العربية فانه يقطع رأسه .

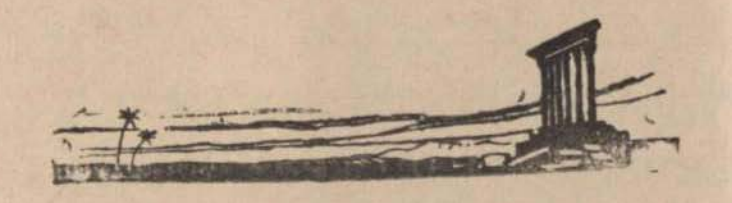
ولما احس السكرتير بالخطر ادخل الامير على اللورد كرزن وزير الخارجية في ذلك الحين ، ولكن هذا اخذ ينظر الى الامير الفتى - و كان فيصل في السادسة عشر من العمر – نظرة غلام

حدث ، فقدم له بعض الحلوى ، واخذ يسأله بعض الاسئلة البسيطة العادية

وترك الامير وعمه لندن ، وقد اقسما ان لا يعودا اليها ابداً ، واحست حكومة الهند بالامر فطلبت من وزارة الخارجية ان ترسل الماجور براي في اثر الرجلين لاصلاح الحال ، فارسلوا فيلبي خلف الرجلين ، واخذوا يغرقون في اكرامهما ليزيلوا الاثر السيء الذي احدثته الزيارة الاولى

....

واخيراً اخذت وزارة الخارجية الانكليزية تحس بابن السعود وتستشعر بانه الزعيم المقبل في الجزيرة ، لقد تجاهلته عشر سنوات كاملة ، فلما عرفته ، وادركت خطورة امره اخذت تفكر في الاستعداد لصد شره والوقوف في وجهه ، فيما اذا طوحت به مزالق الغرور فحاول اكتساح الامصار التى تحت رايتها ، والتي اصبحت بعد تبسطه في الجزيرة قريبة منه ، قائمة في جواره ٠



١٦

وتلك الايام نداولها بين الناس

لقد القت انتصارات ابن سعود على قبائل شمر واحتلال حايل دوشاً بارداً على الانكليز وغير الانكليز ، و كان لهذا الانتصار اثره في طول الجزيرة وعرضها ، ثم كانت له مصايره في ان جعل سيد الجزيرة يحتك بممالك ثلاث ، يجلس على عرش كل منها عدو شديد المراس بادي الكراهية ، اولهم فيصل بن الحسين الذي جلس على عرش العراق في سنة ١٩٢١ ، والثاني عبدالله امير شرقي الاردن ، والثالث الحسين بن علي اشد اعدائه له بغضاً و كراهية

والواقع انه بعد ثلاثة اشهر من تتويج المغفور له فيصل بن الحسين ملكا على العراق ، كان الوهابيون يجوسون الاراضي العراقية ، وشرقي الاردن ، ولعل مرد ذلك عدم وجود حدود معينة بين الدول الثلاث ، ولكن هذه الظاهرة الخطيرة ، كانت لا بد وان تحدث ارتباكاً في علاقات الدول العربية المجاورة

و بدأت المصاعب فعلاً في شهر آب سنة ١٩٢٤ لما اقتحم الف وخمسمائة وهابي من قبيلة حرب حدود شرقي الاردن ، وهاجموا قبيلة صخر ، وكانت مواطنها لا تبعد خمسة عشر كيلومتراً

عن عمان عاصمة الامارة الاردنية

وقضى فيصل الدويش بعد انتصار حايل باشهر على فرقة من الجيش العراقي الخاص بالصحراء على مقربة من (الناصرية) ، ومع رغبة ابن السعود الصادقة في منع هذه الغزوات ، فقد كان يستحيل عليه ان يمنعها بتاتا ومملكته اصبحت وسيعة جداً، وليس لديه سيارات ولا طيارات تنقل له الاخبار بسرعة او تمكنه من رد كيد رجاله باقصر ما يكون من الوقت

ولقد تقبل الانكليز وحكومة العراق اعتذار ابن السعود عن هذه الحوادث ببساطة ورحابة صدر ، واما الاخوان الذين هبطوا شرقي الاردن فان الانكليز ارسلوا خلفهم طياراتهم وسياراتهم المسلحة فتمكنت هذه من افنائهم عن بكرة ابيهم ولم ينج منهم الا ثمانية نفر ، لما وصلوا الى الرياض نالوا من سيد الجزيرة عقابا شديداً فوق ما نالوه في طريقهم من جهد ومشقة

ورأى الانكليز بعد هذه الحوادث ضرورة الاجتماع بسيد الجزيزة والاتفاق معه على مسألة السلام في الجزيرة وعلى الحدود فكانت معاهدة المحمرة ، ثم اجتماع العقير الذي حضره سيد الجزيرة والمندوب السامي الانكليزي في العراق ، وتم الاتفاق فيه على الحدود العراقية النجدية ، على ان يظل القسم الجنوبي الشرقي من الحدود محايداً ، ومن الاراضي المشاعة ، كما ان القبائل النجدية التي

تتاخم الحدود يسمح لها بالاستسقاء من الآبار العراقية المجاورة ، شرط ان تكون هذه الآبار اقرب اليهم من الآبار الواقعة ضمن الحدرد النجدية

واتفقت العراق ونجد على عدم تحصين مواطن المياه والعيون القريبة من الحدود ، وان لا تحشد الجيوش في الاماكن المجاورة لها ، اعترف الانكليز مقابل ذلك بسلطان ابن سعود على حايل وشمر والجوف ، وقرروا اعطائه مبلغاً من المال في كل شهر

ومع ذلك فقد كانت هذه الاتفاقات شيئاً موقتاً ، واضطر الانكليز الى عقد مؤتمر الكويت في سنة ١٩٢٣ لاعادة النظر في مسائل الحدود وغيرها ، ولكن هذا المؤتمر لم يوفق وفشل فشلا مريعاً

.....

وبينما كان مؤتمر الكويت يلفظ انفاسه ، كان سيد الجزيرة في غرفته يقاسي آلام مرض الم به ، والزمه فراشه ، و كان فيصل الدويش في الوقت نفسه يقتحم حدود العراق ويقتل ما يقرب من مائتين من الانفس ، ويستاق ما امامه من مواشي واغنام ، ويفر بها الى مواطنه في قلب البلاد النجدية

وتقدم بعض فصائل من الجند الحجازي في هذه الفترة

نحو (خرما) (وتربه) تحاول احتلالهما ، ويرسل فيصل وعبد الله في الوقت نفسه قوة من جنودهما يغزون الاراضي النجدية

وعندئذ قرر ابن سعود مهاجمة الحجاز واقتحام البلاد المقدسة والقضاء على الحسين بن علي وسلطانه فيها اذ اصبح الصبر فوق الطاقة وفوق الامكان

....

وقد يكره الانسان امراً ، ويكون لمصلحته ، و كذلك كان شأن مرض سيد الجزيرة ، فقد جعله يفكر في الاحداث الخطيرة التي اعتزمها بروية وتريث وهوادة ، وكان سكان (خرما) (وتربة) في هذه الفترة قد ردوا رجال الحسين بن علي وصمدوا في المدينتين يدافعون عنهما ، ويردون غارة الاعداء والاغراب

....

والواقع ان الحسين كان قد فقد كثيراً من شهرته وعطف ابناء الحجاز عليه ، و كانت سياسته الاقتصادية والادارية والمالية في الحجاز قد اضرت بسلطانه ضرراً فاحشاً ، وجعلت عدد الحجاج يقل بحيث اصبح مورد الموسم لا يكفى لاعالة سكان مكة الذين كانوا لا يعيشون الا منه ، وليس لهم مورد غيره وسواه ، ومما لاشك فيه ان انقطاع الراتب الذي كان يتقاضاه من الحكومة الانكليزية قد جعله مغيظاً محنقاً ، وكان قد تسلم من الانكليز في خلال سني

الحرب وبعد الحرب ما يقرب من مليون ومائتى الف جنيه ، وهو مبلغ طائل فادح كان يصرف الحسين بعضه ، في تألف زعماء القبائل الذين كانوا يتبسطون حول امصاره

ومن المؤكد ان انقطاع هذه المساعدات عن بعض القبائل الحجازية جعلها تقف من هجوم الاخوان على الحجاز موقف المتفرج ، ولو كان الحسين قد ساق لها الاموال كما كانت عادته ، لكان موقفها غير ذلك

وزاد في نقمة الوهابيين على الحسين بن علي انفاق ابنائه على المناداة به خليفة على المسلمين بعد تخلي الترك عن الخلافة ، واخراجهم للخليفة من فروق وذلك في قرية الشونة من اعمال شرقي الاردن (١٩٢٤) وبحضور نواب عن شرقي الاردن والعراق وسورية والحجاز ·

واذا اضفنا الى ذلك امتناع الوهابيين مدى سنوات ثلاث عن الذهاب الى الحج مخافة حدوث ما لاتحمد عقباه بينهم ، وبين سكان الحجاز ثم ذهاب بعضهم سنة ١٩٢٣ الى مكة ، وحدوث شغب دموي بينهم وبين الحجازيين في قلب مكة ، ادركنا الاضطراب الروحي الذي كان يسود جماعات ابن سعود ، ويجعلهم ارغب ما يكونون في اقتحام الحجاز ، والاقتصاص من اصحاب البدع والاباطيل

....

وليس من ينكر ان سيد الجزيرة رجل ذكي ، فقد رأى يبعد نظره ان اقتحام الحجاز امر هين ، ولكن المحافظة عليه شيء صعب اذا لم يتقبل جماعة المسلمين حكمه وسلطانه ، فرأى عندئذ ان يعلن انه لن يعترف بالخلافة لاحد الا ان يجمع عليه كافة المسلمين او اكثريتهم

ثم دعا سيد الجزيرة الى عقد موءتمر عظيم في الرياض جمع كل علماء نجد و كبارها واشرافها وقادتها ، وترأس الاجتماع الامير عبد الرحمن والد ابن السعود ، وبحث المجتمعون في ايجاد حل لمشكلة الحج وضرورة السماح به للنجديين ، ثم اجمع الرأى على ان يرسل الامير فيصل بن سعود كتابا الى العالم الاسلامي يشرح لهم فيه حالة الحجاج وحالة الحجاز في عهد الحسين ، ويطلب منهم ان يكلفوا الوهابيين بازالة هذه المظالم واقتحام الحجاز

ولم يأبه العالم الاسلامي كثيراً لهذا الطلب ، ولكن الهنود تقبلوه بقبول حسن ، وشجعوا ابن السعود على مهاجمة الحجاز والقضاء على سلطانه ومليكه

....

لقد كان الوقت مناسباً حقاً للهجوم على الحجاز ، فقدعلم سيد الجزيرة ان الانكليز قد تخلوا عن الحسين بن على لعناده وشدته ، ومع ان انصار ابن السعود ورجاله كحافظ وهبه وسواه كانوا يدفعونه

الى الحرب حالاً ، فانه كان يسير اليها متريثاً هادئاً

ولكنه في هذه الفترة كان قد اتخذ اهبته ، ورتب خطته ، ولكي يسبر موقف ابناء الحسين ، ارسل بعض الاخوان يغيرون على الحدود العراقية وشرقي الاردن ، وارسل في الوقت نفسه سلطان بن بجاد شيخ قبائل عتيبة ليغزو اطراف الحجاز ، وأمر خالد بن لؤي بان يسير نحو مكة من جهة (خرما)

وكانت الطائف قريبة من خرما ، فسمع خالد بن لؤي في مساء يوم من ايام شهر آب (١٩٢٤) بان علياً بن الحسين في الطائف نفسها ، فامر سلطان بن بجاد ان يقتحم المدينة ، ففعل واستولى عليها دون ما مقاومة تذكر ، وفر علي بن الحسين مسرعاً الى مكة وتبعه كثير من اشراف المدينة وسكانها .

وحدث خطأ ان اطلق عيار ناري من مخفر الشرطة في الطائف اثناء دخول الوهابيين اليها ، فظن الوهابيون ان هناك شراً يراد بهم ، فهجموا على الناس و النساء يقتلون ويذبحون وقدر عدد الضحايا بثلاثمائة نسمة

ولما سمع سيد الجزيرة بما ارتكبه بعض اتباعه ارسل اوامره الصارمة بان لا يعود احد الى مثل ذلك ، او يتعرض لاشد العقاب والقصاص .

وكان الشريف علي قد حشد بعض الجند بين الطائف ومكة

ظناً منه انه يستطيع صد الوهابيين ، ولكن هؤلاء شتتوا جنده بسهولة واخذوا يتقدمون نحو مكة ...

ورأى سيد الحجاز ان لا طاقة له على المقاومة، خصوصاً وقد قل انصاره من سكان المدينة ورجال القبائل حولها ، فتنازل عن العرش وغادر البيت الحرام الى جده مع عائلته ، ومنها ركب يخته الخاص الذي اقله الى العقبة ، ثم الى قبرص حيث قضى بقية ايامه فيها .

وقام الملك علي مقام ابيه ، فنظر الى الانكليز يطلب المساعدة فقال هؤلاء انهم على الحياد ، فطلب عندئذ هدنة من سيد الجزيرة فرفض هذا وطلب ان يخرج كل آل الحسين من الحجاز ، وعندئذ غادر الملك على مكة الى جدة واقفل ابوابها خلفه .

ودخلت قوات ابن السعود الى مكة محرمة ولكنها مدججة بالسلاح ، واستقبلت مكة مليكها الجديد هادئة ساكنة ، ودخل الاخوان الى البيت الحرام فحفظوا له حرمته، ولم يعرض واحد منهم لسكانه بشر ، وفاقاً لما امرهم به سيد الجزيرة واوصاهم باتباعه

وما كاد ابن سعود يحتل مكة حتى ارسل الى العالم الاسلامي بيانا يقول فيه انه قد وفق الى احتلال البلاد المقدسة ، وانها الآن في ذمته ريثما ينظر في امرها العالم الاسلامي ، ثم عين سعوداً نجله ليقوم مقامه في الرياض ، وغادر عاصمته الى مكة فدخلها محرماً تقياً

وهو يقول : اللهم لبيك لبيك !!

ويفرق في شكر الله سبحانه وتعالى على ما افاء عليه من نعمة، وما افضاه اليه من خير عميم .

....

لقد كان ابن السعود في هذه الفترة مضطرب الخاطر ، بادي التفكير ، فيما يتعلق بالحجاز وسياسته وادارته ، فقد كان امامه احد طريقين : اما ان يستأثر بالحكم فيه ، او يترك العالم الاسلامي يشاركه في الحكم والسلطان

ولما لم يصل الى حل سريع لهذه المسألة اقام في الحجاز حكومة موقتة ، واخذ يرتقب الفرص

والواقع ان ما كان يخشاه سيد الجزيرة وقع فعلاً ، فقد اهتز العالم الاسلامي باسره لاحتلال الوهابيين مكة ، وثار تأثره لما علم بانهم درسوا القبور ، وهدموا القبب ، ونبشوا الاموات ، وتقبل سيد الجزيرة هذه الانتقادات برحابة صدر ، فلم يضطرب ولا ثار ، ولكنه اخذ يدعو مختلف الجماعات الاسلامية لزيارة الحجاز ورؤية الحقيقة بانفسهم ، وقد زار الحجاز فعلاً جماعات مختلفة من الهنود والمصريين والشيعة والايرانيين فعاد بعضهم رضياً ، وارتد البعض الآخر الى بلاده اقل غضباً وانكاراً .

....

وفي هذه الاثناء جاء السر كليلبرت كلايتون المندوب الانكليزي يسعى ، وكانت انتصارات ابن السعود قد ادهشت الانكليز حقاً ، ذلك انهم كانوا يظنون انه لن يوفق الى اكتساح الحجاز بمثل هذه السرعة الفائقة ، والانكليز قوم لا يتركون امورهم ومصالحهم للفرص ، فما كادوا يبصرون انتصارات ابن السعود حتى احتلوا قطعة من اراضي العقبة وارسلوا كلايتون للمفاوضة .

وكان ابن سعود في (بحره) وفيها استقبل المندوب الانكليزي ، الذي جاء يحدث سيد الجزيرة عن قطعة من الارض احتلها الجند الوهابي في وادي سرحان ، وهذه الارض تفصل بين شرقي الاردن والعراق ، وتتصل بالحدود الافرنسية في سوريا ، ويسأله التخلي عن هذه الارض ، فلم ير سيد الجزيرة في ذلك بأساً خصوصاً وقد كان بحاجة قصوى الى المساعدة الانكليزية ، وهو لما يفتتح الحجاز ، ولا تزال جدة والمدينة في يد سواه ، كما ان رجاله كانوا قد ملوا المعارك ، واخذوا يطالبون بالعودة الى بلادهم .

وقد اعترف الانكليز مقابل ذلك لابن السعود بالسيطرة على وادي سرحان ، وقبائل الرولة

. . . .

فلما انتهى سيد الجزيرة من الانكليز اطلق بصره الى المدينة وجدة وينبع وقرر اقتحامها ، فارسل ابنه محمد لمحاصرة المدينة —

بعد ان امر فيصل الدويش بالرجوع الى نجد لانه ليس بحاجة الى خدماته — و كان فيصل هذا يحاصر المدينة قبل هذه الفترة ، وشاع انه اطلق النار على قبة الرسول المعظم ، مما اثار العالم فاضطر ابناء السعود الى ارساله الى نجد تخلصاً من شره ، وتطميناً لسكان الحجاز الذين كانوا يكرهونه لما شاهدوه من بطشه وسفكه ، ولما علم سكان المدينة بذهاب فيصل الدويش عنهم استسلموا لسيد الجزيرة وحذت ينبع حذو المدينة ، واما جدة فان الملك علي اعتزم المقاومة فيها ، ولكن ضعفه ، وانفراط الناس من حوله ، وشدة الحصار ، حمله اخيراً على مغادرة المدينة ، ففتحت هذه ابوابها لسيد الجزيرة الذي دخلها رسمياً في اواخر كانون الاول من سنة ١٩٢٥ .

وقد دخل سيد الجزيرة جدة بمظهر عسكري فخم عظيم ليظهر لسكانها من الاجانب وغيرهم بانه قد افتتح الحجاز وانه سيدها ومليكها بعد اليوم .

وفي الثامن في شهر كانون الثاني (١٩٢٦) بايع وجهاء الحجاز واشرافه سيد الجزيرة بالملك والسلطان

وفي الاشهر الاولى من هذه السنة اخذت الدول تعترف بسلطان ابن السعود على الحجاز ، و كان اول من اعترف به الانكليز والافرنسيين ثم تبعتهما الدول الباقية .

١٧

حديث مؤتمر

قد يكون سيد الجزيرة مخطأً وقد يكون مصيباً ، في دعوته العالم الاسلامي لعقد مؤتمر عام يبحث مصير الحجاز ومصائر الاسلام ·

لقد ارسل سيد الجزيرة الدعوة في نيسان من سنة ١٩٢٦ فلباها سبعون هيئة من مختلف الجماعات الاسلامية ، بعضها رسمي وبعضها وجيه في قومه ، شريف في بلده ، حتى تركيا كانت ممثلة في المؤتمر ولم يتجاهله الا العراق وايران ·

واجتمعت الوفود في السابع من حزيران ، وخطب الشيخ حافظ وهبه خطبة الافتتاح باسم سيد الجزيرة وحضوره ، ثم غادر المليك قاعة الاجتماع وترك مندوبي الجماعات الاسلامية يبحثون ما لديهم من اعمال ، وما يفكرون به من آراء لتحسين حال الاسلام وحالة الحجاز ·

ولقد اختلف اعضاء المؤتمر كما كان من المنتظر ان يختلفوا ، وان استقر رأيهم على امر فعلى ضرورة انشاء المستشفيات في الحجاز ومد خط حديدي بين مكة وجدة ، وعلى بعض المشاريع النافعة

التي لا يصح الاختلاف فيها ، ولا تجوز المناقشة بشأنها ·

وطالت بحوث المؤتمر فامتدت الى ثلاثين يوماً ، ثم انفرط عقده ورجع كل من اعضاءه الى بلده ·

و كان الحجاج قد اخذوا يقصدون البيت الحرام ، وينزلون المواطن المقدسة داراً لاسابيع معدودات ، وقد قدر فيلبي عدد الحجاج سنة ١٩٢٦ بمائة وستين الف حاج ، مما ايقن معه ابن سعود ان الجماعات الاسلامية لا ترى خطراً في وجوده بالحجاز وقيامة بالحكم والسلطان فيه ، ولولا الاختلاف الذي وقع بين الحكومة المصرية والحكومة الحجازية النجدية بسبب المحمل المصري ودخول الجند المصري بالسلاح والبنادق والموسيقى الى مكة المكرمة ، لكان حج سنة ١٩٢٦ حجاً ناجحاً ، ظهر فيه للعالم الاسلامي ان ابن السعود قد تمكن حقاً من قطع دابر الشقاوة ، وان الامان مستتب في الحجاز طوله وعرضه ، وان الحاج امين على نفسه وماله ، وان الوهابية ليست فرقة خاصة ، تختلف في عقائدها عن اهل السنة وغير اهل السنة ، بل انها فرقة اسلامية تتبع السنة والقرآن اكثر من غيرها وسواها ، وان ما يؤخذ عليها ليس من الدين في شيء ، لان هدمها للقبور والقبب ومنعها المسلمين من طلب الشفاعة من الاولياء والصالحين امر موافق للدين ، مؤيد للسنة والقرآن ·

ورأى ابن السعود انه لا يستطيع حكم بلاد وسيعة عظيمة

دون ما تلفون وراديو ، فتحدث الى العلماء بمنافعهما فما عتم هؤلاء ان اقروا عمله ، وايدوا اقتراحه ، وعندئذ دخلت الوان المدنية النافعة الى الجزيرة ، واصبح بطوق سيد الجزيرة ان يمضي في ما نذره من رفع شأنها واعادة امجادها الى النهاية .

ونقل سيد الجزيرة وزارته الخارجية وا كثر دواوينه الرسمية الى مكة ، لانها اقرب الى اوروبا والخارج من الرياض ، وقسم مملكته الى قسمين : الحجاز ونجد ، ترك للامير فيصل حكم الحجاز ، ولسعود ولي عهده حكم نجد ، وكان يسمى كل منهما بنائب الملك .

....

ورأى سيد الجزيرة انه بحاجة الى جند منظم ، يكون جديد السلاح حديث البنادق ، فلم يتأخر عن درس هذا الامر واعارنه كل اهتمامه ، ووجد ان الحاجة ماسة الى سيارات تنقل له جنده من مكان الى آخر ، فيما اذا حدثت ثورة ، وكانت الضرورة تقضي بقمعها حالاً ، فاشترى مائة سيارة للنقل من واردات الحج التي كانت وفيرة سنة ١٩٢٦ كما انه اعطى بعض المصريين امتيازاً بنقل الحجاج بالسيارات بين مكة وجدة

وكانت ا كثر الدول قد اعترفت بسيد الجزيرة ملكا على الحجاز ، وان كان بعضها قد تأخر كثيراً كايطاليا التي لم تعترف

به الا سنة ١٩٣٢ بسبب علاقاتها السياسية مع الامام يحيى

وعندئذ رأى سيد الجزيرة ان يبعث بالامير فيصل كرة ثانية الى اوربا ، فركب الامير البحر الى لندن ، فكان استقباله هذه المرة يختلف عن استقباله في المرة الفائتة ، فقد استقبله جلالة جورج الخامس ، وقلده وساما رفيعاً ، واكرمه الانكليز كل الاكرام ، وكان الافرنسيون وغير الافرنسيين من الذين زار الامير بلادهم مثل الانكليز في اكرامه والاهتمام بزيارته ، ورأى الامير بام عينيه — وكان قد اصبح شابا مثقفاً — منافع الاختراعات الحديثة ، وضرورة الطيارات ، فلما عاد الى بلاده اقنع والده بضرورة شراء عدة طيارات كما اقنعه بلزوم شراء ماكنات لحفر الآبار وغيرها من الامور التي تعود بكثير من الفوائد على الجزيرة وسكانها

وقد اشترى سيد الجزيرة فعلا بعض الطيارات في سنة ١٩٢٧ ، كما اخذ ينتفع بالكثير من المخترعات الغربية التي تساعد في رقي الحجاز ونجد ، وتعود بالخير على سكانهما

وبعد رجوع فيصل ارسل ابن السعود بعض الشباب النجديين الى لندن لدرس كيفية استعمال الراديو والتلفون اللاسلكي وغيرهما ، كما انه اخذ يستعمل السيارات في قمع الثورات والقبض على اللصوص والمجرمين مما زاد في استتباب السلام في الجزيرة ، واطمأن الناس فيها الى انفسهم كل الاطمئنان ، وهو شيء جديد لم تره الجزيرة

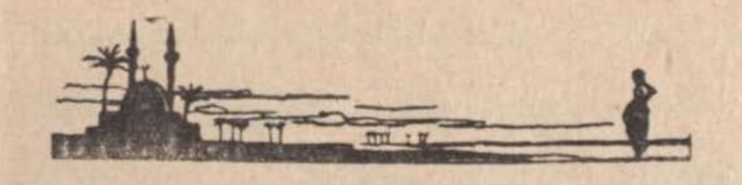
قبل ايام ابن السعود وفي سالفات الاعوام

وفي مكة اليوم محطة راديو للاذاعة بقوة ست كيلوات ، وهناك مثلها في الرياض ، وفي حايل وبريده والقصير وجبيل وتبوك محطات اقل قوة ، و كلها خاصة بالحكومة ، تعمل لمصالحها ومنفعتها ولدى ابن سعود اربع سيارات كبيرة تحمل التلغراف اللاسلكي وكل هذه المستحدثات والمخترعات يديرها شباب من سكان نجد ومن الذين ارسلتهم الحكومة النجدية الحجازية الى لندن فتعلموا استعمال هذه المخترعات وعادوا الى بلادهم كموظفين لدى الحكومة

وبواسطة هذا يستطيع ابن السعود ان يكون في كل مكان وان يقمع الثورة عند ظهورها

ولكن هذه المستحدثات والمخترعات اثارت عليه بعض الشيوخ ، ثم ان بعده عن الحجاز اثار الاخوان الذين اخذوا يجدون صعوبة في السكنى في المزارع التي انزلهم فيها سيد الجزيرة واخذوا يحاولون العودة الى عاداتهم القديمة من الغزو والحرية ، ولكن سيد الجزيرة اسرع الى الرياض لما وصله خبر الاضطرابات وما هي الا ايام حتى تمكن من اعارة الامور الى مجاريها ، بزلاقة لسانه ، وقوة ايمانه ، وحسن تصرفه ، واخلاصه ، وقد ادرك الشيوخ وغير الشيوخ ان العربية اليوم غيرها بالامس ، وان الواجب يقضي بمساعدة سيدهم على اعادة المجد الغابر والعز المندثر .

بيد ان الحالة لم تكن لتهدأ طويلاً ، فان ملك العراق وامير شرقي الاردن ، كانا لا يستطيعان صبراً عن الملك الذي فقده والدهما ، فلما احسا بمشاكل ابن السعود في نجد ، وعلما بثورة الاخوان والشيوخ عليه اغتنما الفرصة ، واثارا قبائل الحدود ، فاشتعلت النار في الجزيرة من جديد …



١٨

ثورة الاخوان وحرب الحدود

١٩٢٨ـ١٩٣٠

تحدث الانكليز بواسطة رسلهم ومندوبيهم الى ابن سعود غير مرة ما بين ١٩٢٤ و ١٩٢٧ ، وامضى سيد الجزيرة معاهدةمع السر غيلبرت كلايتون ، نال فيها الانكليز بعض المنافع ، واعترفوا مقابل ذلك بابن السعود مليكا على الحجاز وغير الحجاز ، كما سويت نهائياً مسائل الحدو والابار وغير ذلك مما كان سبباً لسوء التفاهم بين نجد والعراق في ماضيات الايام، ولكن حدث في اواخر سنة ١٩٢٧ ان اصدر جلالة الملك فيصل امره — وبالاتفاق مع الانكليز — باقامة الحصون على الحدود في منطقة كثيرة الابار وفيرة المياه ، وكان المهم في هذا الامر ، الذي لا خطورة ظاهرة من حدوثه ، هو فيما اذا كانت هذه المنطقة من المناطق التي اتفق الفريقان على حيادها وتركها مرعى لمواشي القبائل ، وموطناً للاستسقاء من مائها الوفير الغزير

ومن سوء حظ العملة العراقيين الذين ارسلوا الى هذه المنطقة لاقامة الحصون فيها ، ان ابن فيصل الدويش كان يرعى مع بعض افراد قبيلة مطير في هذه المنطقة، فلما رأى العملة بعث الى والده بالخبر

فسقط هذا على العراقيين يمعن فيهم قتلا وتنكيلا، ولحقت الطيارات الانكليزية بالمعتدين وحلقت فوق البلاد النجدية السعودية نفسها

وكانت الفرصة سانحة لفيصل الدويش ، ليروج بين الاخوان وغير الاخوان ، ان سيد الجزيرة قد باع نفسه للانكليز ، فهو يمنع الناس من غزو المدن المجاورة ، هؤلاء الانكليز الذي يمنعنا عن مهاجمتهم لا يتورعون عن مهاجمة النجديين في عقر دارهم ، واذا كان ابن السعود لا يعلن الحرب حالا على الانكليز فمن الواجب خلعه .

ووصل الخبر في الرياض الى ابن السعود بحادث الحدود ، ولكنه برغم ما لديه من وسائل حديثة للنقل وغيره ، فانه كان بعيداً جداً ، اضف الى ذلك ان فيصل الدويش لم يتورع في هذه الفترة عن اثارة كل عرب الحدود من الاخوان وسواهم وغزو الحدود العراقية غير مرة يقتل وينهب ويفعل ما يشاء

واما الطيارات الانكليزية التي كانت تتأثر الغزاة فما كانت توفق معهم بسبب الرمال والرياح القوية ، ولان الوهابيين قد تعلموا الاختفاء من الطيارات حين يرونها ، فلا تستطيع هذه منهم نيلا ولا كيداً

وكان فيصل الدويش يهاجم الحدود العراقية بعنف وقسوة ، وقد امعن في العنف والقسوة امعانا اثار غضب الناس على الاخوان

وقسوتهم ، واثار سكان العراق واحمسهم ، وقد وصل فيصل هذا برجاله الى حوالي البصرة ، فما ترك في طريقه منزلا الا هدمه ، ولا نخيلا الا حرقه ، ولا قرية الا اقضها ، وكانت الطيارات الانكليزية بدورها تحرق القرى النجدية،وهي تتعقب الاخوان حتى انها وصلت الى (ارطوية) نفسها وعندئذ لم تعد المسألة مسألة غزو على الحدود ، بل اصبحت حرباً مع الانكليز ...

واحس ابن السعود بالخطر ، ولم يكن بطوقه من الاجتماع مع فيصل الدويش الذى كان بعيداً ، والذي كان في الحقيقة ثائراً عليه ، فراح يتحدث الى الانكليز بواسطة التلغراف اللاسلكي الذي لديه حتى تمكن من التحدث الى بعضهم بالبصرة فسألهم ايقاف هجوم الطيارات ، وهو بدوره سيسعى لايقاف القبائل ، ثم طلب ارسال مندوب يمثلهم ليتحدث اليه ويتفق معه

واخذ سيد الجزيرة يطوف على القبائل ، يدعوها الى السلام ، وعدم غزو الحدود العراقية،والاصطبار ريثما يصل الوفد الانكليزي ، لتسوية المسائل المختلف عليها،ولما وصل (كلايتون) في سنة ١٩٢٨ الى جده كان ابن السعود قد تمكن من ضبط القبائل وايقافها عندحدها

ولم يترك سيد الجزيرة لخصمه ان يبدأه بالكلام ، وقد احس انه جاءه غاضباً ناقماً، وان لندن غاضبة ناقمة ، فراح يبدأه بالشكوى من اخطأ السياسة الانكليزية ، وكيف انها اخذت تهاجم ارضه

بواسطة طيارتها ، مع انه تربطها معه معاهدات ولاء وصداقة ، وساعدت الظروف السياسية ابن السعود كما ساعده البترول وقرب منابعه من مواطن ابن السعود والوهابيين ، فتراجع كلايتون ، وانتهى الامر بعد اخذ ورد ، بالاتفاق ...

واغتنم سيد الجزيرة الفرصة لتوطيد مركزه في بلاده والقضاء على ثورة الاخوان ، وهجماتهم الافرادية ، فدعا الى الرياض جميع رجالات نجد والعسير والحساء ليعوضوا شكواهم على سيد الجزيرة فجاءوه افواجاً ، جاءه الشيوخ والقواد والاخوان والعامة وغيرهم من كل ناقم عليه ، منتقد لسياسته ، ولم يحضر المؤتمر فيصل الدويش وسلطان بن بجاد زعيم قبيلة عتيبة ، ولا حثلين زعيم قبيلة العجلان ، وهذه شخصيات قوية لها اثرها في الجزيرة ، فعدم حضورهم والحالة هذه يدل على انهم ينكرون سياسة ابن سعود ، ولا يريدون الاتفاق معه ، ولا الرضاء بامارته وسلطانه ...

ووقف سيد الجزيرة امام المؤتمر ، وقد تجلى اخلاصه لوطنه ومحبته لبلاده ، وعطفه على شعبه .

واستمرت المجادلات ، وطالت المناقشات ، ولم يترك الحضور باباً الا بحثوه ، وسيد الجزيرة لا يترك انتقاداً دون ماجواب ، ولا رأياً دون ما نقد ، ولا حجة لا يقرعها بحجة اقوى واضخم .

واخيراً وقف يخطب الحضور فقال :

ايها الاخوان

« اني لم اطلب منكم ان تجتمعوا اليوم في هذا المكان خشية منكم ، فاني قد اسست هذه المملكة بقدرة الله وحده ، الذي عضدني وساعدني ، والذي كتب لي الفوز ، و كتب لي التوفيق .

وان خوفي من الله وحده ، هو الذي حدا بي لان اجمع شملكم اليوم ، لنتباحث معاً وقد فعلت ذلك حتى لا اقع في نقيصة الاعجاب بالنفس والكبرياء »

ذابت قلوب النجديين امام اقوال هذا الرجل العظيم ، الذي يهاب الله الى هذا الحد ، والذي يخشاه الى هذا المقدار .

والواقع ان الملك عرف كيف يضرب على الوتر الحساس ، الذي يطرب له البدوي ويتأثر منه ، البدوي الذي يريد من قائده ان يكون باسلاً كل البسالة ، واثقاً بنفسه كل الثقة ، ولكنه يريده ايضاً ان يكون خاشعاً امام الله كل الخشوع ، ورعاً كل الورع .

وعاد سيد الجزيرة يتكلم فسحر سامعيه بقوله :

« اني اريد منكم ايها الاخوان ان تفكروا في الرجل الذي يتولى قيادتكم ، وفيما اذا كنت جديراً بهذا الحكم او غير جدير ، فان لم تجدوني اهلاً له ، فاختاروا رجلاً آخر ، على ان يكون من افراد اسرتي التي اعتز بها ، ومن عائلتي التي تجدونها ماثلة بينكم في

وسطكم ، واني اتوج رأسه بنفسي ، واعاهدكم بان اتفاني في مساعدته » .

فوقع هذا الكلام في نفوس الحاضرين كالسحر ، وتعالت الاصوات : — كلا . . . كلا . . . يا عبد العزيز لن نرغب في ملك سواك ياعبد العزيز

هذا جواب الشعب بعد ان عرض الملك تنازله عن العرش ، وهذا ما كان يتوقعه عبد العزيز من الاخوان ، و كان هذا التنازل سبباً في تقوية نفوذه ، واعلاء مكانه ، واشتداد التعلق به

ونعرض اعضاء المؤتمر لبحث قضية التلغراف اللاسلكي . فقال الرجعيون من الاعضاء انه نوع من السحر ، وانه من عمل الشيطان ، وقال ابن سعود ، يؤيده الاخوان الذين يفهمون غير هذا الفهم ، قولاً غير هذا ، واصر ابن سعود على رأيه ، ووقف يخطب فيقول :

« ليس في الشريعة الاسلامية ما يمنعنا من الانتفاع بطرق المواصلات الحديثة ، والتمشي مع التقدم العلمي ، ومع هذا فاني اترك الامور هذه للعلماء ، والتفت الى العلماء وقال :

هل تجدون فى اقوال النبي (ص) ما يعارض الانتفاع بهذه المخترعات الحديثة ؟ وكان العلماء قد فكروا في هذا الموضوع وقتلوه بحثاً فاجابوا : — كلا

وانتقل ابن سعود الى موضع اخر بعد نجاحه في الموافقة على ادخال التلغراف اللاسلكي ، اراد من اعضاء المؤتمر ان يفكروا في طريقة لتحقيق السلم بينهم وبين الجارات العربيات ... وكان لا يخفى على ابن سعود النكبات التي حلت بالاخوان ، وكان يقدر شهواتهم القوية للانتقام ، وكان يشعر بالضيق الاقتصادي الذي عانوه ، وما زالوا يعانونه ولم ينس ان البدوي ينظر الى الغزو نظره الى وسيلة لكسب العيش ، والبحث عن القوت ، ولكن مع شعور ابن سعود بكل ذلك لم يجد ما يبرر غزوهم للاقطار العربية الواقعة تحت الانتداب الانكليزي ، وكان يقول انه لا يريد غير السلم ثم يطالب بالتعويض لما لحق الاخوان من الاذى والضرر

....

وكان انتصار سيد الجزيرة عظيماً فقد عادت ثقة الناس به ، واطمأن الاخوان الى اخلاصه ، وانفرط المؤتمر وذهب كل جماعة الى قبيلهم وهم دعاة لابن السعود ، اعداء لعدوه ، واصدقاء لصديقه ، ولقد كان بأمكان ابن السعود ان يضرب خصومه الثلاثة الضربة القاضية في هذه الفترة ، ولكنه تركهم يبحثون عن حتفهم ، بعد ان ايقن ان الشعب لن يكون معهم ، وان يؤيدهم ، وما عتم الخصوم لما سمعوا بانتصار سيد الجزيرة في المؤتمر ، وعودة الناس اليه ، حتى اجمعوا امرهم على مهاجمته ، فحشدوا جيشاً من خمسة

آلاف مقاتل ، ومشوا على رأسه الى الرياض .

ولكن سيد الجزيرة كان قد اخذ يستعد لهم ، فصدمهم بجيش لا يقل عن خمسة عشر الف مقاتل ، وفي شهر مارس من سنة ١٩٢٩ ، قضي على الثوار والثورة والاخوان .

وحمل فيصل الدويش الى ابن السعود وهو جريح ، فعفا الملك عنه ، وارسل طبيبه الخاص يعني به ويسهر عليه

ولما علم بجاد بعفو سيد الجزيرة عن زميله في الثورة ، استسلم بدوره فارسله ابن السعود الى السجن في الرياض يقضي فيه بقية حياته

اما فيصل الدويش فقد شفي من جراحه بعد مدة ، وثار كرة ثانية على ابن سعود ، وناصره حثلين شيخ العجمان الذي كان قد هرب الى الكويت بعد فشله الاول ، فوافاهم ابن السعود برجاله وهم يظنونه بعيداً عنهم فمزقهم ، وقتل حثلين ، وقبض على فيصل الدويش ، واحرق القرى الثائرة ، وقضى على الفساد من اصله واساسه .

....

لم يبق على سيد الجزيرة الا الاتفاق مع العراق وازالة سوء التفاهم ، وهو ماعمد الانكليز الى القيام به ، فجمعوا بين العاهلين العربيين في ٢٢ شباط ١٩٣٠ على ظهر الطراد الانكليزي (لوبين) ،

ونجح الاجتماع كل النجاح ، وتم الاتفاق بين العاهلين على كثير من المسائل المعلقة مما سر معه الانكليز كل السرور ، وايقنوا ان السلام سيغمر الجزيرة والحدود بعد اليوم حقاً .

ونظر ابن السعود الى فيصل بن الحسين فادرك ان عمره قصير ، لان الذي يدخن مائة سيغارة في اليوم الواحد ، لا يمكن ان يكون طويل العمر ، مديد البقاء

ولقد حدث فعلاً ما توقع ابن السعود ، فان جلالة الملك العراقي قد مات فجأة في برن في ٧ ايلول من سنة ١٩٣٣ وله من العمر ٥٠ سنة ، وتوفي جلالته بعد نزهة بالسيارة ، عاد بعدها الى غرفته فانتقل الى رحمة ربه بعد عودته هذه بساعة

ولكن اغرب ما في الامر موت مدير الفندق ايضاً ، بعد ثلاث ساعات من دخوله الى غرفة المليك الميت ، وكان اول من دخل اليها من الناس

يقول زيشكا الكاتب الافرنسي الذي ننقل عنه هذه القطعة:

« ان الصدفة غريبة حقاً ، وان هواء الغرفة رهيب مفزع
ولكن الحكمة تقضي بعدم التعليق على هذه الحادثة !! »

....

لقد مات الحسين بن علي ، ومات فيصل بن الحسين رحمهما الله تعالى ، ولم يبقَ من ابناء الحسين الملوك غير الامير عبدالله ، وهو

من لا يخشى شره ، وقد صار الاتفاق بينه وبين الرياض ، وعقدت معاهدة بين الدولتين في اواخر ١٩٣٣

والان وبعد مضي سنوات ، تناسى الناس ملوك لورانس ، واصبح ابن سعود سيد الجزيرة كلها ، وان كان لا يزال هناك في الجنوب دولة يقوم على عرشها الامام يحيي ...

ولكن الناس الذين كانوا يعرفون اسرار الجزيرة كانوا يؤمنون بانه لا بد للامام ان يحس بقوة الوهابية عما قريب

١٩

خلاف بين سيد الجزيرة واليمن !!

ليست الخصومة بين العاهلين قريبة العهد ، بل هي قديمة بعيدة ولكن الظروف والاقدار كانت تخفف من شأنها ، وتقلل من اثرها فلا يحدث الاحتكاك الذي كان لا بد ان يقع بين العاهلين بسبب انتشار سلطان ابن سعود ، وامتداد ملكه

وكانت العلاقات السياسية لسنوات خلت بين العاهلين لا تبعث على الرضى والاطمئنان ، ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة ، منها ما يتعلق بالحدود ، ومنها ما يتصل بسياسة العاهلين مع بعض القبائل العربية ، ومنها ما نشأ بعد استيلاء جلالة ابن سعود على بلاد الحجاز ، ونزول البلاد المقدسة تحت حكمه وسلطانه

فاما مسألة الحدود فالخصومة فيها قديمة العهد ، واسبابها تنازع السيادة بين ابن السعود والامام يحيى على المناطق والاراضي الواقعة بين الحجاز واليمن ، وهي تشمل ولاية عسير الواقعة جنوب الحجاز وشمال اليمن ، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرقي الحجاز وشمال شرقي اليمن ، وقد كانت السيادة في عسير حتى سنة ١٩٢١ ، مقسمة بين قبائل بني شهر القوية في قسمها الشرقي ، وبين

الادارسة في قسمها الغربي وهو المعروف بتهامة

وقد حصل سنة ١٩٢٢ ان اجتاحت القوات السعودية منطقة عسير الشرقية ، وحطمت قبائل بني شهر ، واستولت على اراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأى ان الاستيلاء على تهامة ضروري لتأمين حدود الحجاز الجنوبية ، ورأى الادارسة ان القوات النجدية تطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن السعود والاستظلال بلوائه ، وعقد زعيمهم السيد الحسن الادريسي اتفاقاً مع ملك نجد ، توضع عسير تهامة بمقتضاه تحت حماية نجد واشرافها (سنة ١٩٢٦) ، واستمر الادارسة في حكم البلاد تحت اشراف مندوب من قبل ملك نجد والحجاز ، ولكن هذا الوضع الشاذ كان مثاراً لمصاعب وخلافات لا نهاية لها ، واضطر السيد الادريسي في النهاية ان يتخلى عن مهمة الحكم والادارة ، وان يفوض الامر الى ملك نجد ، وشعر ابن سعود انه لا يستطيع المحافظة على عسير الا اذا ضمها الى املاكه ، فاعلن ضمها في سنة ١٩٣٠ ، ونزع عن الادارسة كل سلطان حقيقي ، وبذلك امتدت حدود المملكة السعودية الى شمال اليمن ، وزادت بذلك اسباب الاحتكاك بينهما ، وكانت هذه الاسباب قائمة منذ استولى ابن السعود على اراضي بني شهر (عسير الشرقية) ، وتسلل سلطانه الى منطقة نجران التي يدعي الامام ان قسمها الشمالي داخل في اراضيه .

ولكن استيلاء ابن السعود على امارة الادارسة كان ابعد في استياء الامام وتوجسه من اشراف (الاخوان) على حدوده الشمالية (عسير الشرقية) ، ذلك انه كان للامام نفوذ قوي على الادارسة ، وكانت عرى التفاهم بينهم وبينه قوية متينة ، وكان يعتقد انه اولى واقدر على ضم هذه الارض الى املاكه من ابن السعود الذي قصد اليها من قلب الجزيرة ، واستطاع في اعوام قلائل ان يدفع حدود املاكه حتى البحر الاحمر غربا واليمن جنوبا . وقد اضطر الامام في اول الامر للقبول بالامر الواقع فلم يحرك ساكناً ، لانه في الوقت الذي استولى فيه ابن السعود على عسير كان مشغولا بخصومته مع الانكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن ، وقد احتلها الانكليز بحجة انها اختارت الحماية الانكليزية ، واغارت اسرابهم الجوية على اليمن مراراً والقت قنابلها على صنعاء عاصمتها اليمن ؛ فكان كل ذلك يحمله على السكون والانصراف لمشاغله وخصومته مع الانكليز ، وقد لا يبعد ان يكون ابن السعود نفسه قد رأى في مشاغل الامام مع حكومة لندن سبباً دفعه الى توسيع املاكه وضم هذه البلاد اليه

هذه هي اسباب الخلاف الجوهرية بين الامام والمملكة السعودية ، وهناك ايضاً ما قدمناه من امتداد سلطان ابن السعود وتبسطه على اكثر البلاد في الجزيرة العربية ، وهو امر لم يكن يروق الامام لما يخشاه من ازدياد هذا النفوذ على بلاده وقبائله . وقد

استطاع ابن السعود والامام ان يتغلبا في السنوات المنصرمة على بواعث الخصومة ، وان يتذرعا بالروية والتفاهم ، وان يحسما اسباب الشقاق والاختلاف في كثير من المواطن ، بل لقد انتهى التفاهم بينهما بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار في سنة ١٩٣١ ، تعهد فيها كل منهما بمراعاة المودة والصداقة وتسليم المجرمين من رعايا الفريق الآخر ، وتبادل حقوق التوطن والاقامة بالنسبة لرعايا الدولتين

ولكن هذه الجهود في سبيل التفاهم والوفاق لم تنجح على ما يظهر في حسم اسباب الخلاف الحقيقي ، واستمرت بواعث الاحتكاك على مسائل الحدود تنفجر من آن لآخر ، وفي سنة ١٩٣٢ انتقض الادارسة على عمال الحكومة السعودية ، واضطرمت في عسير ثورة خطرة ، وهوجمت القوات السعودية بشدة ، واصيبت بخسائر فادحة ، ووردت عن بعض المواقع الهامة ، فبادر ابن السعود بارسال النجدات القوية الى عسير ، واخمدت الثورة بعد خطوب وفر الزعماء الادارسة الى اليمن ، والتجأوا الى حماية الامام .

واستشعر ابن السعود على ما يظهر ريباً في موقف الامام ازاء هذه الثورة ، خصوصاً وقد رفض ما طلبه ابن السعود من تسليم الزعماء الادارسة الذين قاموا بالثورة ، بالاستناد الى نصوص المعاهدة المعقودة ، عندئذ عاد الخلاف بين الملكين الى اشده ، واخذ كل منهما يحشد قواته على الحدود

ولكن تعود روح المصلحة العامة ، والنفرة من ان يحارب المسلمون بعضهم بعضاً فترفع صوتها ، وتطلب من العاهلين ان يتفاهما ويتفقا ، فيبعث ابن السعود وفداً للمفاوضة الى الامام، فيلبث هذا الوفد في صنعاء عاصمة اليمن عدة اسابيع فلا يوفق ، ويقال ان الوفد وضع في صنعاء في حالة اعتقال ، ومثل هذا غير جائز في العرف السياسي ، فتفشل المفاوضات ، ويتفاقم الخلاف ، وتتقدم على اثر ذلك بعض القوات اليمانية شمالاً في مقاطعة نجران ، وتستولي على بعض مواقع في جنوب تهامة ، ويشتبك الفريقان في بعض معارك محلية

....

والواقع ان ما يخشاه عقلاء العرب هو ان يكون لبعض الدول الاجنبية ضلعٌ في الاستفزاز واثارة الحزازات ، ذلك ان المملكة السعودية قد بلغت من الضخامة والقوة حداً اضحى يشغل بال السياسة الانكليزية ، فالمملكة السعودية (نجد والحجاز وملحقاتها) تجاور بحدودها جميع مناطق النفوذ البريطاني في شبه الجزيرة ، فهي تجاور العراق من الشمال الشرقي ، وتجاور شرقي الاردن وفلسطين من الشمال الغربي ، وتجاور الكويت وعمان من الشرق ؛ وتشرف على حضرموت من الجنوب ، وقد برهن ابن السعود في اكثر من فرصة على قوته ومنعة مملكته التي تشمل جميع اواسط الجزيرة من شرقها

الى غربها ، واظهر بالاخص انه شديد الحرص على سلامة حدوده واراضيه لا يغضى عن اية محاولة تقوم بها السياسة البريطانيةلتوسيع نفوذها داخل الجزيرة ، وقد رفض مراراً ما عرضته بريطانيا من الاتفاق معه على استثمار موارد الحجاز الطبيعية ، او منحه قرضاً يمكنها من التدخل في شئون مملكته ، وعلائق ابن السعود حسنة مع روسيا السوفيتية ، والتجارة الروسية متفوقة في الحجاز ، وهذا لا يرضي البريطانيين ، وابن السعود يدعي ملكية العقبة وما حولها من الاراضي التي تحتلها بريطانيا ، ويهدد بالاغارة عليها من حين لآخر ، حتى انه اضطر الدولة البريطانية الى انشاء مركز بحري واخر للطيران الحربي في هذه المنطقة ، فهذه العوامل والظروف كلها تحمل السياسة البريطانية على التوجس من صديقها القديم ابن السعود ومن ازدياد قوته ونفوذه داخل الجزيرة

واما اليمن فهي محط انظار السياسة الايطالية ، لان موقعها على الضفة الشرقية من البحر الاحمر تجاه مستعمرة (اريترية) الايطالية الواقعة على ضفته الغربية يجعل لها في نظر ايطاليا مركزاً خاصاً .

وقد توثقت العلائق بين اليمن وايطاليا منذ سنة ١٩٢٨ وزار رومه يومئذ وفد يمني برئاسة سيف الاسلام ابن الامام ، واستقبل فيها بمنتهى الحفاوة ، وعقدت بين اليمن وايطاليا معاهدةودية تجارية

سنة ١٩٢٩ وكان ذلك عاملا قوياً في جزع السياسة البريطانية ونطور سياستها نحو اليمن ، ذلك ان بريطانيا تجاور اليمن في عدن اعظم مراكزها البحرية في البحر الاحمر ، وتحتل الى جانب عدن عدة مناطق اخرى تجاور اليمن من الجنوب الشرقي وهي بلاد ينازعها الامام في ملكيتها ، وكان الخلاف قويا مستمراً بين الانكليز والامام منذ اعوام طويلة، والسياسة البريطانية تتردد بين خصومته وصداقته ، وتحاول ارغامه من وقت لآخر بتنظيم الغارات الجوية على اراضيه ، حتى يعترف بملكيتها للمناطق التسع التي تحتلها ، فلما اتجه الامام نحو السياسة الايطالية ، وظهرت روسيا السوفياتية في الميدان تتقرب الى اليمن ، خشيت السياسة البريطانية عواقب هذه الخصومة ، فعادت الى مصانعة الامام ، ودارت بينهما مفاوضات انتهت اخيراً بعقد معاهدة يمنية بريطانية تعترف فيها بريطانيا باستقلال اليمن ، وتسوى فيها بعض المسائل المعلقة بين الفريقين

فيظهر مما بسطناه في هذا الفصل ان الخصومة التي انتهت الى حرب بين العاهلين العربيين في الجزيرة ، خصومة ليست تعنيهما وحدهما ، بل قد تتعداهما الى بريطانيا وايطاليا ، ولكل منهما سياسة خاصة في الجزيرة العربية كما قدمنا

...

اما اليوم وقد وقعت الحرب ، وانتقل الخصام من مناطقه

الحادثة ، الى حرب طاحنة ، فانا نترك لجلالة ابن السعود نفسه بحث الاسباب التي ادت الى هذه الحرب و الى هذه المعارك ، في خطاب القاه في مكة المكرمة ونشرته جريدة ام القرى (لسان حال الحكومة النجدية الحجازية) بوم السبت ٨ ذي الحجة (٣٥٢)، قال جلالة ابن السعود في المأدبة الكبرى التي اقيمت في القصر الملكي:

« قد يظهر ان الخلاف كان على اهل نجران ، ونجران قد لا يكون فيها مطمح لا دنيا ولا اخرى، ولكن قضيتنا تتعلق في امرين: محذور من جهة يجب ان نتقيه ، والثاني شيمة عربية :

ان عسير لم ادخله الا ايام الحسين الشريف ،وقد كان، لاتراك خرجوا منه وتولاه اهل عائض بعد الهدنة ،وكان اهل عائض محسوبين علينا ، وكانو ولاة لاجدادي في تلك الجهات ، ولكن تدخل الحسين بامرهم فحرضهم علينا باعمال يطول شرحها الى ان انتهى الامر بغدرهم بنا الى ان اخذهم الله ثم اخذناهم واعاننا الله عليهم

وجرت صداقة بيننا وبين محمد الادريسي وعندما مرض اوصاني بآله واولاده ولما توفي تولى ابنه علي،وكان الخلاف بينه وبين عمه الحسن فتولى الحسن واصلحت بينهما ووضعت نظري على الحسن بناء على طلبه وطلب اهل عسير وابقيت علياً عندي

وبعد خمس سنوات تقريباً ارسل الي الحسن يخبرني بعجزه عن ادارة البلادوتأمينها وتنازل لي عن البلاد،فقبلت ذلك منه ولكنني ابقيته

على مقامه وامارته، وتحملنا في سبيل وفائنا بعهد الادريسي مشاقاً ومصاعب كثيرة وخسرنا اموالا طائلة، وكنت انفق على تلك المقاطعة فوق وارداتها من ٢٠٠ — ٢٥٠ الف ريال في السنة تقريباً. وعاملنا الادريسي بكل معاملة حسنة، ثم لم اشعر الا ووصل الي ان يحيى سعى مع الادريسي للعمل ضدي، فعجبت وقلت هذا غير ممكن فلم تمض ايام حتى ابلغت ان الادريسي هجم على رجالي الذين عنده في جيزان وحاصرها فارسلت سرية قليلة تتألف من «٤٠٠» في السيارات و«٢٠٠» في زورق من الزوارق البخارية، وساروا لفك الحصار عن رجالي، ولكن في اثناء طريقهم الى جيزان كان الادريسي تغلب على رجالنا فيها وابرق لي يتملق بعد ذلك، فابرقت اليه انه ان كان صادقاً في دعواه فيمكنه ان يراجع امير السرية التي ارسلتها وابرقت لامير السرية المتقدم بان لا يحدث حربا مع الادريسي ولكن اراد الله ان يبطل كيد الكائدين فحدثت تأثيرات جوية لم يتمكن اللاسكي من اخذ برقيتنا فلم تصل للادريسي ولكن الادريسي كان عازماً على الغدر فارسل قوة لتخريب طريق السيارات ومقاومة السرية القادمة فلم يصل امرنا للسرية بالتوقف وتقدمت فاحتلت جيزان وقضت على الفتنة فيها

فلما رأيت الموقف على هذا الشكل استوحشت وخشيت من مداخلة يحيى في هذا الامر فارسلت جنوداً اخرى فقضت على الفتنة في سائر المقاطعة ولما رأى يحيى ان الامر انتهى تنصل، وقد قبضت على

كتب لبعض امرائه تنقض المعاهدة التي كانت بيننا وبينه ايام حكمني في حادث « العرو » ، ثم نقض معاهدة تسليم المجرمين بيننا وبينه بامتناعه عن تسليم الادريسي . ولكني لم اشأ فتح باب الشقاق معه فتركت الادريسي ليحيى بشرط ان يمنعه من اي مداخلة او عمل ون يبعده عن الحدود . ثم كتب الي يحيى يقول لي هؤلاء الادارسة اصدقاؤك واعداء لي فهلا انعمت عليهم وسددت حاجتهم تخصصت لهم مع ذلك مرتباً شهرياً قدره ٢٥٠٠ ريال محافظة عليهم رغم ما كان منهم ، على عادتنا مع سائر البيوت العربية . ثم امرت جندي بالرجوع من تلك الديار لاني ما كنت احب الشقاق مع الامام يحيى. فلما اخذ الجند يرجع الى بلاده وردتني برقية من يحيي يذكر قبيلة «يام» ويذكر وصول اهلها الى ابها لمقابلة ابن مساعد قائد الجند ، فلم يخطر لي ان يكون له مقاصد اخرى من مثل هذه المراجعة،فاجبته ان لا غرض لنا في الولاية عليهم الا نجران والبادية ، نظراً لعلاقاتهم بنا من قديم وحديث ونظراً لمصالح رعايانا رضينا بعمل اتفاق على هذا الاساس ، ثم وردتني منه برقية اخرى بهذا الشأن اجبته عليها بوضوح انه لا يمكن ان نختلف نحن واياه على ما كان بيننا وبينه في السابق بشأنهم ، ثم ارسلت له وفداً حبسهم حقيقة مدة طويلة وبينهم خالد القرقني الذي يعرفه كثير منكم وقد قال لهم ان المعاهدة التي بيننا وبينه ان شاء عمل بها وان لم

يشأ لم يعمل بها

وقد كتبت له بشأن الوفد وانهم لم يجرموا حتى يعاقبوا ·

« ولما رأيت ان الشر تفاقم ووصل الى هذا الحد امرت بارسال عشرة آلاف مقاتل ليرابطوا على الحدود استعداداً للطوارئ ·· وبقوا هناك سبعة اشهر لم يأتوا بأي عمل عدائي ، لاني لا احب الحرب ولقد كان من دواعي صبرنا هذه المدة مع ما تكلفناه من النفقات اننا رأينا يحيى دخل في مفاوضات مع الانكليز من اجل النواحي التسع ، فلم نشأ ان نأتي بحركة توجب الضرر وتفسر على غير حقيقتها · ولكنه لم يقدر هذا الموقف منا فمضى في سبيله واتم اتفاقه مع الحكومة البريطانية وكان خلال ذلك يطاولنا ويخادعنا ولما ارداد الخلاف بيننا وبينه بشأن نجران ويام ، ومع انه لا حق له بهم وانهم يؤدون الزكاة لنا من قديم وحتى من زمن اجدادنا الاولين وكتبهم لا تزال محفوظة لدينا والمعاهدات بيننا وبينهم موجودة ولكن فضاً للنزاع اقترحت عليه ان تكون نجران بلداً محايداً بيننا وبينه واقترحت شروطاً لحيادها فاجاب بان يام من همدان وهمدان يمنية

فوا عجباً هذا ابن شعلان ابن عمي (واشار اليه) واستطيع ان اجلبه الي ولكنه مقيم في سورية

« وكثير من اهل سورية انفسهم من اليمن انزلهم فيها معاوية

فهل يكونون حجة ليحيى ليطالب بسوريا بدعوى انها يمانية

واخيراً بعد مراجعات طويلة اقترح علينا تحديد الحدود بيننا وان نعمل معاهدة لمدة عشرين سنة وتعهد برفع الادارسة الى الزبدية وبعد ان اتفقنا على هذا واتفقنا على ارسال مندوبين لتثبيت ذلك عمل معنا عملاً قبيحاً لم اذكره والله الا الان ، وقد كتمته عن اخص رجالي وابناء عائلتي وذلك انه ارسل عبد الوهاب الادريسي واحتل بلاد العبادل وفيفاء وبني مالك من بلادي ، فكتبت له اسأله عن هذا العمل فكان جوابه ملق وتملص ووعود ، وآخر الامر ابرق لي بانه لا يفعل معي الا ما يفعله الاخ مع اخيه والصديق مع صديقه وهكذا سلسلة حوادث له معي اخجل من ذكرها اذ لا يعملها انسان عنده مروءة ولا يقبل بها رجل ذو شرف وشيمة

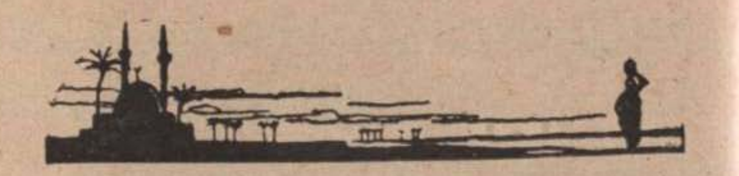
لم اترك وسيلة للصلح والسلام الا فعلتها ولكني ما رأيت غير المحاولة

لذلك امرت ولي العهد ليتقدم بجنوده الى الامام ، فيستخلص البلاد التي غدر بها يحيى ويدافع عن بلادنا و كياننا وشرفنا، وابرقت ليحيى باننا لا نريد الا السلم ولا نريد الحرب ، وان باب السلم لا يزال مفتوحاً متى اراد ان يجنح له وان ينسحب من بلادنا ولا يتدخل بشؤوننا، وهذا التدبير لم الجأ اليه الا مضطراً وبعد ان اعيتني جميع الوسائل ، ولا اعذر امام الله ولا امام خلقه اذا لم اقم

بواجب الدفاع عن مملكتي وبلادي

لنا اكثر من عشرة اشهر ونحن نقابل يحيى ونجادله وانتشر خبر ذلك في سائر الانحاء فلم يظهر من المسلمين ، ملوكهم او امرائهم واحزابهم من يتقدم لاصلاح ذات البين او يطلع على حقيقة ما بيننا ويعلم من الصادق ومن الكاذب . ولم يردنا غير برقيات التمني التي لا تنتج شيئاً »

هذه هي الاسباب الرسمية للحرب السعودية اليمانية ، جلوناها في هذا الفصل لتكون اساساً لمن يؤرخون للجزيرة العربية واحداثها في مقبلاب الاعوام



٣٠

انتصار سيد الجزيرة

تقوم بلاد اليمن بمثابة حصن طبيعي في وسط جبال مرتفعة صعبة المسالك، كأداء، فسحت للشعب اليمني المستقل في ان يظل بمأمن من النفوذ السياسي الذي كثيراً مايقود الشعوب الى الاستعباد واريد بهذا القول ان الشعب اليمني لم يبع نفسه للدول الكبرى كما فعلت الشعوب الاخرى في الشرق

ففي الشمال تمتد الممتلكات البريطانية تحت قناع ابن سعود الذي استطاع ان يقهر جميع الممالك الصغيرة في شمالي بلاد العرب. وفي جنوب اليمن تمتد الحماية الانكليزية على حضرموت، تلك الحماية الواسعة النطاق التي تصل الى بحر عمان فعدن ومن جهة اخرى تملك ايطاليا مستعمراتها الواسعة الارجاء في الجهة الاخرى من البحر الاحمر، تجاه الممتلكات الانكليزية تماماً

ويذكر الجميع تلك المحاولة التي اقدمت عليها ايطاليا لتبسط استعمارها على الحبشة وانتهى بها الامر الى الفشل، ولا يزال الاحباش الى اليوم يفخرون بهذا الانتصار الذي يعزون الفضل فيه الى انفسهم، ولا يزال الايطاليون يرقبون الفرص للانتقام.

ولو ان فرنسا لم تسع لادخال الحبشة الى جامعة الامم ، بعد الحرب الكبرى ، لكانت ايطاليا قد نفذت هذا الأنتقام من زمن طويل واصبحت الحبشة في عداد البلدان التي لا تتمتع بحريتها ، ولما فقدت ايطاليا آخر امل في التبسط الاستعماري نحو الحبشة ، وكان شعبها يزداد ازدياداً مضطرداً ، وعندئذ ارادت ان تبحث لها عن منفذ في بلاد العرب وراحت تسلك سياسة نفوذ في اليمن ، فتلقاها الامام يحيى في اول الامر بكثير من التحفظ .

وقبل ان يتعاقد مع الايطاليين حاول ان يفاوض الحاكم الفرنسي في جيبوتي بعقد علاقات تجارية ، وشراء ذخائر حربية ، والاستعانة بالمهندسين الفرنسيين وارباب الصنائع الفرنسية ، على ان مسيو باشون بيساك ، الحاكم الفرنسي في جيبوتي ، رفض ان يعقد مع الامام يحيى علاقات كهذه جاهلا ما وراءها من الفوائد ، وكان رفضه من الغلاظة بحيث صحت عزيمة الامام على فتح ذراعيه للايطاليين ، ومنذ ذلك الحين اخذ هؤلاء يبذلون جميع المساعي لارضاء رغائب اليمنيين حتى لم يجد الامام يحيى بدأ من مكافأتهم على الخدم التي أدوها الى بلاده فوعدهم بمقاطعة عسير .

وكان وعده هذا لهم سبباً في ما وقع بينه وبين المملكة النجدية الحجازية من سوء تفاهم ومن حرب بعدها .

هذا فيما يختص بالسياسة السرية في جزيرة العرب ، واما ما

حدث بعد ذلك وما جعل الحرب واقعة حتماً ، فهو اتفاق الامام يحيى والادارسة حكام العسير على مساعدتهم للرجوع الى امارتهم ، بعد ان طردهم الامير فيصل السعود منها ، واحتل عاصمتهم ابها ، كما جاء في فصل سابق من كتابنا هذا .

وحدث في الواحد والعشرين من شهر مايس سنة ١٩٣٠ ، وفي الساعة الثامنة مساء ان اشتعلت النار في الباخرة الافرنسية (آسيا) الراسية في مياه جده ، والتي كانت تقل ما يقرب من الف وخمسمائة حاج من اليمن بينهم عائلة الامام يحيى ، وكان في الباخرة ايضاً كمية وفيرة من عملة نمساوية لا تزال مستعملة في اليمن حتى يومنا هذا .

وكان قد وقع في يد سيد الجزيرة قبل احتراق الباخرة رسائل مرسلة من بعض عمال الفاشيست في اليمن الى بعض الناقمين من الوهابيين يشعرونهم فيها بارسال المال اليهم ، وهو الذي تحمله الباخرة (اسيا) ، فهل حصل الحريق قضاء وقدراً ام ان هناك يداً لعبت فيه

والواقع ان الحريق كان شديداً قوياً ذهب فيه بعض الحجاج وذهبت فيه ايضاً الاموال النمساوية التي قصصنا خبرها وسرها .

اما اهل صنعاء فقد ايقنوا ان يداً وهابية قد اشعلت النار في الباخرة ، وبذلك زادت حركة الاستعداد للحرب زيادة عظيمة .

وفي شهر مارس من سنة ١٩٣٤ رفض الامام يحيى رغبات

التوفيق بين العاهلين التي ارسلت اليه من مختلف البلاد العربية وامر جنوده بالتقدم نحو العسير .

فكان جواب سيد الجزيرة على هذا الهجوم ان اصدر امره الى ابنه الامير فيصل بالتقدم على رأس ثمانمائة من السيارات نحو الجيش اليمني ، واخذت في الوقت نفسه تتقدم جنوده وتحتل تهامه ومرفأ سيدى ، ولحيه ، والحديدة على البحر الاحمر .

اما الامام يحيى فقد كان لديه قوة عسكرية حسنة ، و كانت لديه مدافع اشتراها من احد المصانع الايطاليه وكان جيشه يقدر بخمسة وثلاثين الف مقاتل مجهز تجهيزاً جيداً ، ومدرب على ايدي ضباط من الترك قد تخرجوا من الكلية العسكرية في الاستانة وظلوا في اليمن بعد انهيار الامبراطورية التركية ، مفضلين الحياة فيها ، ولكن هذا الجيش الحسن كان تنقصه حماسة الوهابيين . .

. . . .

وقد قص هنري دي مونفريد الكاتب الافرنسي الذي كان يوجد في تهامه في هذه الفترة – تموز ١٩٣٤ – كيفية استيلاء الوهابيين على الحديدة فقال :

« عندما استولى الامام يحيى على اراضي محمد الادريسي ، وذلك منذ سنوات خلت ، مد حدوده الى شمالي جيزان ، و كانت مدينة ميدي القائمة بين جيزان والحديدة يحكمها في عهد الادريسي عبد

تحرر وبقي في خدمة السيد الجديد الامام يحيى ، وظل يتمتع بهذا
المركز الى هذه الايام الاخيرة

وعندما بدأت المناقشات بين الامام وابن السعود في قضية
عسير ارسل الامام الى الحديدة نجله الاصغر حسين ليرابط
هناك مع كتائبه

وكان حاكم المدينة في ذلك الحين رجلا جديراً بالرجولة يدعى
سليم بك ، اخذ يغدق على المحارب الشاب نصائحه الثمينة

وفي احدى الليالي اقبل الى الحديدة رسول سري يحمل نبأ وفاة
الامام يحيي في صنعاء ، وشاءت الصدف الغريبة ان تكون الامطار
قد بللت السلك التلفوني فانقطعت المخابرات بين الحديدة والعاصمة

من المعلوم ان الامامة في شريعة اليمن لمن يربحها بحد السيف ،
وهي عادات قديمة ترجع الى عهود الغزو ، ولا تزال مرعية في بلاد
العرب .

فاخذ سليم بك ينصح لحسين الفتى بان يمشي مع كتائبه
في الحال الى صنعاء ، لانه يرى ان الظروف الغامضة التي مات فيها
الامام ستفسح السبيل لاقتسام ملكه ، والاستيلاء على امواله

وكان حسين قد سئم الاقامة بمدينة الحديدة فاغتنم هذه الفرصة
وغادر المدينة في مطلع الفجر مع جيشه من غير ان يأبه لمصير الاهالي

وفي تلك الآونة ثارت احدى القبائل وراحت تغزو الاهلين

في المدينة المهجورة

اما الحاكم سليم بك فحمل المال ولاذ بالفرار ، وفيما هو في الطريق التقى بزميله حاكم ميدي ، العبد المحرر الذي فر هو ايضاً حاملا المال ، ومضى الاثنان الى كمران ، الجزيرة الانكليزية التي كانا يتوقعان ان يستقبلا فيها استقبالا حسناً

وقد تم لهما ما ارادا وتمكنا بسهولة من الذهاب الى عدن على مركب انكليزي صغير ، ولكن هذين الحاكمين ما كادا يطآن ارض عدن حتى اعتقلهما المقيم الانكليزي فانتزع منهما المال وزجهما في السجن ...»

....

هذا ما حدث في ميدي والحديدة، وقد دخلها الجيش السعودي دون ما مقاومة ، ولكنه في مواطن اخرى كان يضطر للمقاومة، وينجح في الكفاح ، بسرعته الفائقة التي كان لا يحس بها خصمه ، ظاناً ان عدوه لا يزال بعيداً عنه

ولما استولى ابن السعود على الحديدة ارسل مدير ماليته لترتيب شؤونها المالية ، واصدر امره بالاحتفاظ بجميع الموظفين اليمنيين مع زيادة رواتبهم ، فكان الفرح والجذل لا يوصف ...

....

والواقع ان المعارك التي نشبت في هضاب عسير وتهامة بين

القوات السعودية والقوات اليمنية قد اسفرت عن نتائج خطيرة حاسمة ، اذ استطاعت القوات السعودية ان تتوغل في نجران وفي عسير بسرعة مدهشة ، وان تستولي على منطقة واسعة في شمالي اليمن تشمل عسيرا ونجران وجميع الجهات والمواقع التي كانت موضع النزاع بين البلدين،وان تتقدم بعد ذلك في الاراضي الواقعة بحذاء البحر الاحمر حتى ثغر الحديدة وهو اهم الثغور اليمنية وتستولي عليه بعد ان فرت منه قوات الامام التي كان يقودها ولده وولي عهده سيف الاسلام

ومع ان العالم الاسلامي كله قد رفع صوته عالياً يطلب من الملكين العربيين وقف الحرب والاتفاق ، فان سير الحوادث ،والحق يقال لم يفسح مجالا للتفاهم بين الدولتين ، وقد كان سيد الجزيرة يشترط لوقف القتال شروطاً يراها لازمة لسلامة حدوده ، ولسلام مملكته ، وهي جلاء القوات اليمانية عن نجران ومواقعها الجبلية ، واطلاق الرهائن – وهي المؤلفة من ابناء بعض شيوخ القبائل يأخذها الامام الى صنعاء رهناً حتى لا يثور الشيوخ عليه ، وتسليم الادارسة ، فابى سيادة الامام الرضى بهذه الشروط وتقدمت جنوده في نجران وعسير ، وتذرع سيد الجزيرة بكثير من الروية والاناة ، فلما لم تسفر كل هذه ، وتبث لدى ابن سعود بان عوامل لتحريض تعمل عملها في عسير ونجران لدفع قبائلها الى الثورة على

عمال الحكومة السعودية واصدقائها ، كما ثبت في الكتاب الاخضر الذي اصدرته الحكومة السعودية — زحفت القوات السعودية على نجران وتهامة وميدي والحديدة وغيرها كما قدمنا ، اوانهارت في الحال كل التدابير التي اتخذها الامام للحرب والدفاع ، واضحت اليمن تحت رحمة القوات السعودية التي تطوقها من الشمال والغرب ،

....

عندئذ ادرك الامام يحيى خطورة الموقف ، وعبث الخصومة والمقاومة ، فاقر الملك الوهابي على مطالبه التي اشترطها منذ البداية لوقف القتال ، وهي اخلاء الجبال التي احتلتها القوات اليمنية في عسير ونجران ، واطلاق الرهائن ، وتسليم الادارسة سادة عسير السابقين ، وبدأ الامـام بتنفيذ الشروط حالاً ، واستؤنفت المفاوضات بين الفريقين حتى انتهت الى عقد معاهدة الطايف

٢١

معاهدة الطايف

تضمنت معاهدة الطائف مبادىء جديدة ، تعتبر الاولى من نوعها ، وان كنا نعتقد ان العرب اول حكمهم وتبسط سلطانهم كانوا في معاهداتهم مثل سيد الجزيرة لباقة وسياسة وعدلاً ورزانة.

واول ما يلفت النظر ما تتجلى به المعاهدة من نزعة اسلامية ونخوة عربية قامت من ناحية على اعتبار المساواة المطلقة بين الطارفين و «المؤمنون كلهم اخوة» ، وقامت من ناحية اخرى على اعتبار ان «لا غالب ولا مغلوب» ، وهو الاعتبار الذي يقوم عليه وحده صفاء العلاقات بين المتحاربين ودوام السلم بين الدولتين ، ومن اجل هذا وذاك سماها المتعاقدان «معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية»

....

على ان فهماً جديدا للاسلامية والعربية قد بدأ في مواضع اخرى من المعاهدة ، يلخصها ما ورد في فقرة مقدمتها الاولى التي تنص ، على الرغبة في انهاء حالة الحرب وفي «جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها»

والفهم الجديد الذي نراه بادياً في هذه الفقرة انما هو اعتبار شبه

الجزيرة امة واحدة لها شأن خاص و كرامة خاصة واستقلال خاص ، يرجع ذلك كله الى صفتها العربية وان كانت تتصل بعدد آخر من الامم عن طريق الرابطة الاسلامية الكبرى ، والواقع ان جلالة الملك ابن السعود قد اعلن غير مرة انه يصدر في كل اعماله عن اعتبار الاسلام اولا ، وعن اعتبار العروبة ثانيا ، فكأنه ينظر الى العالم الاسلامي على انه كتلة كبيرة مكونة من فئات ترجع الى اعتبارات فرعية منها « العروبة » ومنها « العجمة » ومنها « الطورانية » وسواها وغيرها

ولقد وفق صاحب الجلالة الملك ابن السعود الى جعل الامام يحيى يأخذ بنظريته ويعتبر شبه الجزيرة امة واحدة يكتنفها الاسلام والعروبة معا ، وينبغي ان يفعل هذان العاهلان العاملان في القضاء على ما يكون هناك من فروق بين الاجزاء ، ولعل العاهلين بعد ذلك يوفقان الى معالجة ربوع شبه الجزيرة الاخرى من غير مملكتيهما ، ويوفقان في هذه المعالجة الى الوصول الى نوع من انواع العلاقات التي كانت تربط بين الدويلات الجرمانية وتؤلف الامبراطورية الالمانية قبل ان يفعل فيها النظام الهتلري فعله .

ولاشك ان الوحدة في النظر التي نرجوها ، والتضامن في العمل الذي ندعو اليه ، قد كانا من الوجهات التي لم تغب عن فكر العاهلين ومعاونيهما ، اذ نصت فقرة اخرى من فقرات مقدمة المعاهدة

على الرغبة في ان « يكونا عضداً واحدا امام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً على سلامة الجزيرة العربية » كما نصت المادة الاولى من موادها على ان « يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي تقع بينهما »

....

وهما في سبيل تلك الوحدة التي ذكرنا ، وذلك التضامن الذي اشرنا اليه ، يعلن كل منهما في المادة العشرين « استعداده لان يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج ان يتكلما بالنيابة عن الفريق الاخر متى اراد الفريق ذلك في أي شيء وفي اي وقت » ويزيدان انه « من المفهوم انه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد ، فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة »

ولم ينس العاهلان ان الوحدة لا تتم في الواقع اذا ظلت الانظمة الاقتصادية متباعدة ، فنصت المعاهدة في المادة التاسعة عشرة على الرغبة في عمل كل ما يمكن لتسهيل المواصلات البرية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات بينهما ، وفي اجراء مفاوضات من اجل اتفاق جمركي يوحد الرسوم في عموم البلادين ، ونصت المادة الثالثة على مبدأ « اكثر الدول رعاية » اذ اشترطت الا يكون ما يمنحه احد الفريقين المتعاقدين

للآخر اقل مما يمنحه لفريق ثالث ٠

٠٠٠٠

ولم يقف التفاهم بين العاهلين العربيين عند مجرد ذكر الرغبات والتمنيات فحسب، او عند تقرير المبادىء والنظريات ، بل انهما قد ذهبا في سبيله الجدي الى تقرير نظام التحكيم فيما يقع بينهما من خلاف ، وان المطلع على «عهد التحكيم» المعتبر جزءا متمما للمعاهدة يسره ان يراه متضمنا بالتفصيل الوافي جميع الاجراءات المتعلقة بمختلف الادوار ، فقد اشترط مثلا « احالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من احد الفريقين » كما اشترط ان يتم اختيار هيئة التحكيم خلال شهر من بعد انقضاء ذلك الشهر الاول ، وان تجتمع هيئه التحكيم بالفعل خلال شهر من بعد هذا الشهر الثاني ، وان تصدر الهيئة حكمها في خلال شهر رابع ، وهي قيود تحول دون ضياع الوقت وبقاء الخلاف قائما يعكر صفو العلاقات ، او يضر بمصالح الذين تتصل بالخلاف مصالحهم ، وهو ما لم تفطن دول الغرب في كثير من معاهداتها الى خطورته واهميته

٠٠٠٠

وان في تعادل الحقوق والتكاليف بين الجانبين المتعاقدين لدليلا واضحا على عظيم رغبتهما في دوام التفاهم والمودة الخالصة وفيه

كذلك رد على مفتريات اولئك الذين شاءت اهواؤهم ان يذيعوا ان معاهدة الطايف هي صك حماية يفرضها ابن السعود على بلاد اليمن فرضاً.

....

ولقد اظهر ابن السعود حقاً ، انه قوي وانه عادل ، واظهر انه سريع البطش صادق العفو ، وانه يستطيع ساعة الظفر ، وعند الثورة انه يعتدل في موقفه ، وان يقنع بما يعتبر انه ممكن وانه ليس فوق الطاقة ولا فوق الامكان.

ولقد كان بالامكان حقاً ان يكتسح سيد الجزيرة مواطن الامام يحيى وامصاره ، ولكنه كان يعلم ان مثل هذا يحتاج الى وقت وعناء ، والى كثير من الرجال والاموال ، ففضل الرضاء بما هو ممكن ، واعتمد قبول ما هو في اليد وتحت الامر ، وترك غيره الى مقبلات الاعوام ، وقد خدمت الايام سيد الجزيرة ، وقلبت لاعدائه ظهر المجن ، فغرروا بانفسهم ، وتنادوا بقوتهم فكان ما كان من انهيار سلطانهم ، واجتياح امصارهم ، مما نقلنا خبره في هذا الكتاب ، مفصلاً على قدر ، وفيه دلالة على ان سيد الجزيرة ما كان يحرك خطوة الى الامام الا ان يطمئن الى الخطوة السالفة ، ولهذا انتظم له الفلاح الذي ينعم به اليوم ، والذي هو اهل له ، وحقيق به

...

وليس من ينكر ما لانتصارات سيد الجزيرة على اليمن من تأثير في سياسة بعض الدول الخارجية ، فالايطاليون قد خسروا بعد الحرب والمعاهدة نفوذهم في اليمن، وقضى عليهم ان يفقدوا آخر امل في مقاطعة عسير ، وبذلك تحررت الجزيرة من نفوذ اجنبي جديد واصبح ابن السعود وجهاً لوجه فقط امام النفوذ الانكليزي الذي يسيطر على اطراف الجزيرة ، والذي لا نظن انه طويل الامد ، كثير الخطورة !!!

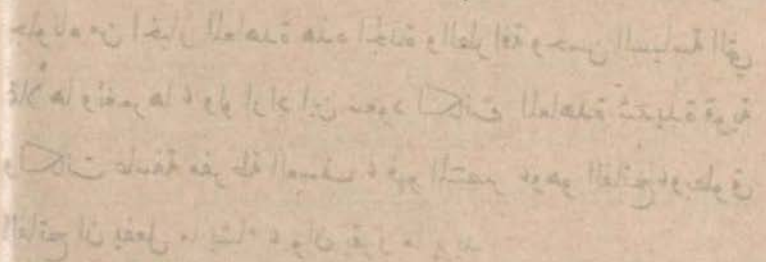
والواقع اننا في بحثنا انما تناولنا الاعتبارات العامة ، وجلونا في ما جلوناه من اخبار المعاهدة هذه الجدة والطرافة وحسن السياسة التي تملأها وتغمرها ، ولو اراد ابن سعود لكانت المعاهدة شديدة قوية ولكانت عاسفة مفرطة العسف ، فهو المنتصر ، وهو الفاتح ، وبطوق الفاتح ان يفعل ما يشاء ، وان يقرر ما يريد

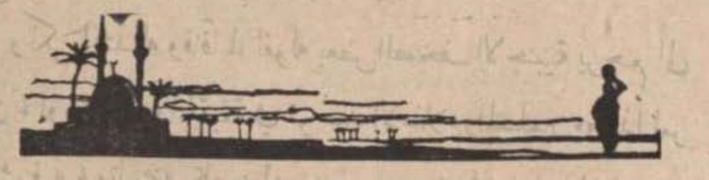
ولكن اعتداله وفاقاً لما تقوله بعض الصحف الاجنبية يرجع الى امرين ، اولهما رغبته الحقيقة في توحيد الاسلام والمسلمين، وهذا امر لا شك فيه ، وتاريخه كله ينطق به ويؤيده ، وثانيهما ما احسه من رغبة بعض الدول الاجنبية في شد ازر اليمنيين والتداخل في الحرب الناشبة بينه وبين الامام ، وهو ما كان ينكره ولا يريده ، لانه كان ارغب ما يكون في ان لا يتعدى الخلاف حدود الجزيرة ، وان يظل معلقاً متصلا بين مكة وصنعاء ، فانه خلاف بين افراد عائلته

واحدة ولا يجوز ان يكون لشخص ثالث علاقة به ، ورأي في مصايره .

. . . .

هذا رأي قد يكون حقاً وقد يكون باطلا ، ولكنه على كل حال يفسر بعض الغموض الذي اكتنف هذا الزحف السعودي السريع ، وهذه الحملات الشديدة القاسية الطاحنة ، ثم ما تلى ذلك كله من هدنة فاتفاق فمعاهدة صداقة وود ووئام مما لا يتفق حقاً مع الزحف السالف ، والوقعة السابقة





٢٢

الاعتداء على سيد الجزيرة

اذا استثنينا ثورة ابن رفادة في الحجاز ، وهي ثورة لم يكن لها كبير امر ولا خطورة، كان بطوقنا ان نقول ان الحالة اليوم في البلاد العربية تكاد تكون فريدة في نوعها ، وما نعلم ان الايام قد افضت الجزيرة الى مثلها منذ مئات الاعوام

هذا السلام اليوم الذي يغمر الجزيرة، وهذا الامان الذي يتحكم في مصايرها واغوارها، وهذه الطمأنينة التي تسير في وهادها وصحراواتها قد تكون من اكبر البواعث على تقدمها وتبدل احوالها ، وخروجها من حال قديم عتيق ، ومن نظم بالية سمجة الى حال جديد زاخر بالوان التقدم الذي تستطيع الجزيرة هضمه وقبوله

نحن لا ننكر انه ليس من الممكن في حاضرات الايام تطبيق النظم السارية في مختلف البلاد العربية في الجزيرة ، فان هذا فوق الطاقة وفوق الامكان ، ولكننا نعتقد ان هناك وجوهاً وابواباً يستطاع فيها تطبيق بعض النظم الاجتماعية والعدلية والعسكرية، وبالاختصار كل ما تحتاجه الدولة الناشئة من الوان الحياة في بلاد العرب ، شرط ان تكون هذه الالوان الجديدة موافقة لمزاج الجزيرة وابنائها، قريبة

التطبيق فيها ، ناجحة فالحة في مختلف امصارها ، وهو ما نرجو ان يوفق سيد الجزيرة الى العناية به ودرسه واقراره ما كان الى ذلك سبيل ، وله فائدة ظاهرة ومقررة .

ومن الحق وقد افضت شؤون الجزيرة الى ابن السعود ان ينظر جلالته الى خلقها خلقاً جديداً ، وهو اذا لم يوفق في خلق الرمال فلا اقل من خلق الرجال ، ولا اسهل من تربية الشبيبة الناشئة ، تربية علمية دينية اجتماعية تربطهم بماضيهم المجيد ، ومستقبلهم العتيد ، وتنذرهم ان لهم اخوانا في مختلف الاصقاع العربية ، يسابرون خطواتهم ويهتمون باخبارهم ، ويبحثون امورهم وشؤونهم بحثاً يدل على مبلغ اهتمامهم بهم ، وتشوقهم لمعرفة ما يصدر عنهم من اخبار واعمال .

•◦••

لن تستطيع البداوة بعد اليوم ان تقيم الممالك وتنشيء الامصار ، والعرب اليوم احوج ما يكونوا الى التعاون بعضهم مع بعض ، والعمل عصبة واحدة لما فيه خير العربية وخير الاسلام ، ومن حق الجزيرة ان تقوم بقسطها في هذا الكفاح المقبل ، كفاح العرب في سبيل استقلالهم والوصول الى اغراضهم من اعادة امجادهم الغابرة ، وحضاراتهم السالفة ، وليس احق ولا اقدر من سيد الجزيرة ، في خلق هذا الجو الذي يجعل البدوي يحس معه ان عليه واجباً غير الغزو

ورعاية الابل، وان من حقه ان يعمل مع اخوانه العرب في سبيل هذه النهضة الجديدة، نهضة العرب والاسلام

....

وانه لمن المؤسف حقاً ان نختم فصلنا هذا بحديث الاعتداء على صاحب الجلالة السعودية، هذا الاعتداء الذي وقع في مكة وفي الشهر الحرام، وعند طواف جلالته حول الكعبة، (١٠ ذي الحجة ١٣٥٣ هجرية) وقد ثبت ان المعتدين الثلاثة من اليمانيين، وان اثنين منهم جنديان في جيش الامام

ونحن وان كنا لا نريد التبسط في هذا الحدث المؤسف الا اننا لا نستطيع - ونحن نؤرخ لسيد الجزيرة - تجاهل ما كان للاعتداء من تأثير في طول البلاد العربية وعرضها، فقد اثار الخبر كل محب للعربية، واغضب كل عامل للوحدة والاتفاق..

وخلاصة الحادث ان احد المعتدين الثلاثة هجم على سيد الجزيرة، وهو يطوف حول الكعبة يوم عيد الاضحى، محاولاً طعنه بخنجر في يده، فصرعه الحرس برصاصهم، كما صرعوا رفيقيه من بعده، فلم يوفق التحقيق والحالة هذه - وقد مات الجناة - من كشف اسرار هذه المؤامرة الفظيعة، ولكن صفة المعتدين اليمانية حملت الحكومة السعودية على طلب التحقيق من حكومة اليمن عن هوية المعتدين، فوعدت صنعاء بذلك، وبرت بوعدها، فورد

على وكيل وزارة الخارجية السعودية في (٣ مايس ١٩٣٥) برقية ومعها تقرير (اللجنة التحقيقية) التي كلفتها حكومة اليمن بحث الحادث والتحقيق فيه، وهذا هو التقرير ننشره بالحرف الواحد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحضرة الشريفة الامامية أعلا الله شأنها

تتشرف الهيئة التحقيقية التي منحها الامر الشريف الامامي صلاحية التحقيق والبحث والتحري عن العوامل والاسباب كما افادت البرقيات الرسمية من نظارة خارجية المملكة السعودية من محاولة الاشخاص الثلاثة اغتيال جلالة الملك عبد العزيز بن السعود، فترفع الى المقام الشريف نتيجة ما قامت به من التحريات وموالاة البحث وما حصلت عليه من المعلومات بعد الاستقصاء واتخاذ الوسائل الفعالة الممكنة في سبيل الكشف عما كلفت به من العمل الهام وبذل الوسع في الاحاطة والوقوف على احوال الاشخاص المرقومين وحركاتهم من قبل الى تاريخ مغادرتهم لهذه الديار

لقد تبين من التحقيقات التي اجريت في عدة جهات اشتملت على جلب الاشخاص الكثيرين من اقارب الاشخاص المرقومين وموالاة استنطاقاتهم وعلى اخذ الافادات من المصادر والمنابع التي لها وقوف على احوال المرقومين وحركاتهم ان علي بن علي الحاضري

الذي كان مستخدماً بقيام ضابط صغير في الجيش المتوكلي لم يكن في مدة انتسابه الى الخدمة في الجيش معروفاً بالمغامرة والشذوذ في حركاته، وانه استحصل في اثناء شوال (٥٣) اذناً من امارة الجيش لاداء فريضة الحج الشريف مثل غيره من افراد الجيش ، حيث يقضي نظام الجيش المعمول به لزوم اعطاء الرخصة لكل من طلبها لقصد اداء فريضة الحج . واستحصل ايضاً ورقة الجواز حسب الاصول الموضوعة من دائرة عمالة صنعا في اثناء الشهر المذكور مثل غيره من القاصدين للحج

وتبين ايضاً ان اخاه صالح بن علي حزام الحاضري غاب من قرية بيت حاضر ، ومكث سنوات في خارج القطر ، ثم عاد الى وطنه ولبث مدة يسيرة . ثم غاب ايضاً الى الحبشة وبقي هنالك سنوات الى ان عاد الى وطنه في ربيع الثاني سنة ٥٣ ثم استحصل على جواز لاداء فريضة الحج وتوجه مصاحباً لاخيه المذكور قاصداً لاداء الحج

وتبين ايضاً ان مبخوت بن مبخوت الحاضري كان مستخدما في الجيش المتوكلي بصفته احد افراده ، وفي شهر رمضان سنة ٣٥٣ كتب الى اخيه الموجود في قرية بيت حاضر من محل اقامته انه يريد الحج فاجابه عليه اخيه بلزوم وصوله لزيارة امه والاستئذان منها ، ولم يعد منه جواب بعد ذلك . ثم توجه الى الحج بدون رخصة من امارة الجيش ولتغيبه عن قطعته التي ينتسب اليها في الجيش

بدون ترخيص عد من الهاربين

واما مسعد بن مسعد اواسعد بن سعد الذي وجدت ورقة جواز باسمه بين ثياب المذكورين ولم يوجد بينهم حال الحادث فلم نظفر بشخصه ولا وجد من يطلق عليه اسماً من الاسماء لا في محل قرية بيت حاضر التي منها اولئك الثلاثة ولا في غيرها ، بحسب ما تلقيناه من البيانات ولا في المواقع العسكرية بعد الايضاح من الجهات التي كلفت بالتحري والتعقيب والضبط والذي نظنه ان الجواز يحمل اسما مستعاراً لشخص لم يكن من اهل اليمن ، ولقد تمكن حامله من الاختفاء والفرار عقيب الواقعة

وبعد التحريات والتحقيقات عن كل الجوانب والمحلات والعلاقات باوسع صورة واكمل شكل لم نقف على اي امارة تدل على ان للاشخاص الثلاثة المرقومين اي علاقة او اتصال بآخرين ، مما يدعو الى اشتباه في حركاتهم ، ولا وجدنا ما يمكن عده قرينة على اشتمال فكرة تظاهرهم الى تاريخ خروجهم من هذا القطر لا بافشائهم ولا بغيره . و كذلك عند الفحص من جميع الحجاج الذين خالطوهم في الحجاز ايضاً الى تاريخ حدوث الوقعة ، افادوا انهم لم يسمعوا ولم يحسوا من احوالهم واطوارهم ما يدل على ذلك وهيئتنا كانت تؤمل ان تعثر على اسباب يمكن عدها كاشفة لما يدعو الى ارتكاب الخطر الذي وقعوا فيه ولكنها في نهاية الامر لم تجد امارة على ان

لهم ها هنا اي عامل او اسباب تحمل ما لقوا فيه حتفهم وهلا كهم ،
ونظراً لما عرف من اتصال صالح بن علي الحاضري ببعض البلاد
الخارجية مدة غير يسيرة وعودته الى اليمن بصورة موقتة وتشويقه
لاخيه ومبخوت ابن مبخوت لاداء فريضة الحج لم يكن مستطاعا
لدن هيئتنا غير القول بانه ثبت من المرقوم حركات شاذة فحسب

ومن البديهي ان الاحاطة في التحقيق بمثل هذه الامور تتوقف
على توسيع في بعض المحلات والبلدان الخارجية التي لبث بها صالح
بن علي المرقوم زمانا طويلا واجراء الفحص التام عن الاشخاص
الذين اختلط بهم وعن غير ذلك ، وكل ذلك مما يستحيل الوقوف
عليه من هيئتنا كما لا يخفى على جلالتكم ، فقد رفعنا الى انظاركم
الشريفة نتيجة ما اجريناه من التحقيق لنحيط به علمكم الاوسع
بتاريخه ٢٢ محرم سنة ١٣٥٤

....

والواقع ان اسباب الاعتداء لا تزال سراً من الاسرار ، ولا
يبعد ان يكون لبعض الجماعات اليمنية علاقة به ، ولكننا نستبعد
ان يكون لبعض الهيئات المسوءولة يد في ترتيبه واقراره ، ونعتقد
كل الاعتقاد ان الامام بعيد عنه ، لا يعرف من امره غير ما نعرفه
نحن ، ولا نشك في انه كان مثلنا انكارا له ، واسفاً لحدوثه ، لما
يعلمه من خطورته وما ينتج عنه من مشاكل وخصومات ، واخذ

ورد ، وتهم تلقى بحساب وبغير حساب ، وهو اليوم احوج ما يكون للسلام والامان يوطد ملكه وينظم حكومته ، ويصلح ما افسدته عليه الحرب ، ومزقته الاضطرابات والحوادث الاخيرة

ثم انه يعلم كل العلم ان صداقة ابن سعود اثمن من اي شيء آخر ، وان حياته انفع له من موته ، ووجوده ضمانة قوية لاستقلال ملكه ، وثبات امامته ...

٢٣

مستقبل العربية

لقد تمكن سيد الجزيرة العربية عبد العزيز بن السعود من السيطرة على اكثر اجزاء الجزيرة في ربع قرن من الزمن، فهل يوفق الى حفظ ماتمكن من فتحه من مدن وامصار ؟! وهل يبقى عمله وما انشأه من دولة وسلطان قائماً ثابتاً من بعده ؟؟

يقول الاستاذ غوتيه « ان قوة العواطف الدينية عند الشعوب الشرقية تجعل لها ميزة ظاهرة على الغرب » ، وهو يعني بذلك هذه الصوفية التي تملاء الحياة الشرقية ، وهذا الايمان بالله الذي يجعل الشرقي متأهباً للخطر ، لا يخشى قدومه، ولا يأبه لنزوله

ولكن هناك اموراً لا بد من النظر اليها وبحثها حين يتناول المرء مصاير هذه الدولة الجديدة ، فان الحالة الاقتصادية اليوم في الجزيرة مثلها في غيرها من المواطن والامصار ، وهي في الجزيرة اشد ايلاماً ، وانكد حالا ، لان الجزيرة ما تكاد تنتج شيئاً ، وما يعيش سكانها — واعني الحجازيين منهم — الا من موسم الحج ، وخطر هذا وضعفه يتوقفان على الحالة الاقتصادية ، فان توفر المال لدى المسلمين ركبوا البحر الى الحجاز ، وان ضاق بهم الحال لزموا منازلهم

وهم اسفون ...

واذا نظرنا الى المستعمرات التي انشأها ابن السعود في قلب الجزيرة ، وما يحاوله من حفر الآبار الارتوازية في مختلف المواطن ، نجد ان لكل هذا حداً ، فالماء في ارض الجزيرة ليس وفيراً ، وما يستخرج منه لن يكون اكثر من حاجة سكانها ، ولذلك فان مصاير القضية العربية مرتبطة كل الارتباط بحالتها الاقتصادية ، وطاقة ارضها على اعاشة سكانها ، وكفأ اهلها

....

بيد انه ما دام هناك اسلام في العالم فان الحج سيظل امراً واقعاً منظوراً ، والاسلام في الواقع يزداد تبسطاً ويمعن في ما حوله من الامصار غزواً وفتحاً ، فهذه الهند لا ينكر احد تقدمه فيها وانتشاره المتواصل في مواطنها واغوارها،وهذه جزر سومترا وجاوه قد اصبحت واكثرها مسلمة مؤمنة، وكانت البرهمية قبلا صاحبة المقام الاول والقول الفصل ، اما في افريقيا فان الاسلام يتقدم تقدماً متواصلا محسوساً،ولذلك فمكة والمدينة ستظلان مهوى افئدة المسلمين يأتونهما من مشارق الارض ومغاربها،ويحملان اليهما المال الذي يمكن لسكانهما في الحياة ، والاطمئنان الى مورد ليس من سبيل الى نكران خطورته وضرورته ، ولكن هل يكون هذا المورد كافياً لاعالة السكان جميعهم ام انه سيضطرب في شيء من النقص لا سبيل الى تلافيه ابداً ؟؟

لقد ماتت تجارة الخيول والجمال بسبب الحضارة الحديثة والمستحدثات الميكانيكية العصرية ، وتجارة اللؤلؤ لا تدر بعد اليوم من الارباح الا قدراً يسيراً ضيقاً ، واما الثروة الطبيعية فان احداً لا يعرف مقدارها ولا خطورتها ، ذلك ان الجزيرة ما تزال للناس سراً من الاسرار ، والذين نزلوها من الاجانب باحثين في ارضها قليل عددهم ، خفيض صوتهم ، وليس يسمح للاجنبي بالسكنى في غير جدة ، وليس في جدة اليوم غير خمسين شخصاً من الاجانب ، اثني عشر هولنديا يشتغلون في المصارف او في وكالات شركات البترول ، وعشرة من الانكليز الذين ينقسمون الى قسمين اما سياسيين رسميين او سريين ، وعشرة ايطاليين يعملون في التجارة وينصرفون لبيع السيارات والماكنات وسواها ، وثمانية من الالمانيين بعضهم من التجار والبعض الاخر يشتغلون في طيارات سيد الجزيرة ، وسبعة من الروس ، وثلاثة من الافرنسيين ، القنصل ونائبه والشريف ابراهيم الذي لا يعرف احد عنه شيئاً ، والذي يغلب على الظن انه من الموظفين السياسيين السريين الذين يشتغلون للمصلحة الافرنسية والنفوذ الافرنسي .

ولذلك فان الثروة الطبيعية في الجزيرة تكاد تكون مجهولة الخبر ، ولكنها الى هذا كله تبعث على الامل ، ولا يبعد ان يوجد البترول في المنطقة العربية حول الخليج العجمي ، كما ان ارض

الحجاز لا تخلو من المعادن،وهذه الثروة الطبيعية اذا كانت موجودة حقاً ، فانها تكون عظيمة الخير لسكان الجزيرة ، كما انها تكون عظيمة المصاير في السياسة الاوربية تطمئن معها الى وجود خير وثراء في الحجاز ونجد ، لان الفقر والمجاعة يحملان سكانهما حتما على مغادرتها والهبوط على المواطن الخصبة في العراق وشرقي الاردن وسوريا وغيرها ، يطلبون فيها منزلا ومقاماً ومأ كلا ومشربا ، خصوصاً وان الارض في شرقي الاردن وفلسطين خصبة تستطيع ان تقوم باضعاف اضعاف سكانهما الحاضرين،وفي هذا مافيه من اضطراب الحالة السياسية ، واختلال التوازن في الشرق العربي .

....

وعلى ذكر فلسطين اقول ان اغراق اليهود الصهيونيين في تهويد البلاد امر يستلفت النظر ، ويدل حقاً على ان القوم — واعني بهم مفكريهم — يظنون ان العالم قد وقف عند المدنة ، وان الارض لا تدور ولا تتحرك ، وان الايام ستظل تسايرهم وتمكن لهم في فلسطين وشؤون فلسطين ، وهم يجهلون او يحاولون ان يتجاهلوا ان الانكليز اليوم اقل ميلا الى وعد بلفور من قبل ، وان فلسطين وهي البلاد العربية المحاطة بعناصر عربية لا تستطيع ان تكون يهودية ابداً

ويغلب على ظني ان اليهود يعملون لغيرهم ، ويعمرون لسواهم ، ومن يدري فقد لا يمضي وقت طويل حتى تصبح هذه المستعمرات القائمة مواطن لبعض القبائل العربية التي ستطغيها الحضارة ويسبيها الجمال الفني الذي يغمر بعض هذه المستعمرات الزاهرة الجميلة

ان الشرق الادنى منطقة اسلامية لا سبيل الى قيام اقليات غريبة فيها، وسكنى شعوب لا تربطها باهلها روابط نسب ولغة ودين والايام كفيلة بتحقيق هذه الفكرة التي لا سبيل الى انكارها او تجاهلها

....

ومن المؤكد ان ابن السعود يحلم بالخلافة كما اعلن ذلك فيلبي في خطاب له القاه في لندن مؤخراً ، وقد تحدث في خطابه هذا عن سيد الجزيرة وما ينصرف اليه من تحضير الجزيرة العربية، لتستطيع ان تكون نواة لدولة عربية عظيمة

ولما سئل عن سوريا ، اجاب : انه لا يبعد ان تكون هي والعراق وشرقي الاردن وفلسطين اعضاء في هذه الامبراطورية العربية التى ما يزال يحلم بها الانكليز ، والتي ليس يستطيع اليوم وفي حاضرات الايام ان يمكن لها في الحياة غير سيد الجزيرة نفسه

وابن السعود سياسي بارع ، شذبته الايام ، وصقلته الصعاب والحوادث ، وعلمته التجارب ، فاذا كان يحلم بالخلافة — وليس هذا

بالامر البعيد — فانه ادهى من ان يعرض لذلك في حديثه ، او يحاول التحدث عن رأيه هذه الى غريب او قريب

لقد كان الناس يكرهون الوهابيين ، ويعدونهم قساة عتاة ، اما اليوم فقد بدلوا رأيهم ، بعد ما شاهدوه من عدل سيد الجزيرة ورحابة صدره ، ومحافظته على كل رعاياه على السواء لا فرق في ذلك عنده بين وهابي وسني وشيعي وزيدي وسواهم ، وهو ما جعل له انصاراً واعواناً كثيرين

وعلى ذكر الخلافة نقول ان المسلمين اليوم اذا ما فكروا فيها ، فانهم يذكرون اسم سيد الجزيرة كاقرب مرشح لها ، والهنود اكثر الجميع تأييداً لهذه الفكرة ، لانهم يعتقدون ان الخليفة يجب ان يكون في مكة ، وان تقوم حوله حلقة من العلماء تكون منتخبة من مختلف الجماعات الاسلامية في طول الارض وعرضها ·

....

ومن المؤكد ان قوة ابن السعود وعظمته يظهران في معرفته لنفسه ، وزمنه ، وما يستطيعه اليوم وما لا يستطيعه الا بعد ذلك بايام او اعوام ، فهو رجل اكثر ما يكون استراقاً للفرص ، واختلاساً للظروف ، فان كان بامكانه الوصول الى ما يريده من مطلب مشى اليه ، وان رأى الامر صعباً ، والزمن ليس موافقاً ، سكن عنه وتركه ، وراح ينتظر فرصة اصلح ، وزمناً افلح

وقد لا يكون ابن سعود خطراً سريعاً على الدول الاربية التي لها مستعمرات اسلامية والتي تقوم الى جواره ، وتتبسط على مقربة منه ، ولكنه سيكون خطراً دون ان يطلب ذلك ويسعى اليه ، فان انتصاراته قد اثارت العواطف في سوريا والعراق وشرقي الأردن ، ولا يبعد ان تجمع هذه الجماعات الاسلامية العربية امرها على طلب حكمه ، وتفضيله على سواه ، وعندئذ يصبح ابن السعود خطراً داهماً قوياً

....

وشيء آخر ايضاً وهو هذه المزاحمة بين الدول الكبرى لا كتساب ابن السعود ، لقد ثبت اليوم ان انتصار ابن السعود على اليمن قد قضى على آمال ايطاليا في العسير وغير العسير ، او انشاء قاعدة حربية على السواحل اليمنية ، واما اعلان الانكليز سلخ منطقة عدن عن حكومة الهند ، فانه حادث خطير يدل على رغبة الانكليز في توحيد الجزيرة العربية ، وهي الرغبة التي يسعى لها الانكليز منذ زمن بعيد جداً ، ولكن الذي يبعث على التسائل هو : هل تكون هذه الوحدة تحت حماية لندن ، ام تحت سيطرة ابن السعود !؟

وفي الواقع ان اوراق ابن السعود اقرب الى النجاح من اوراق لندن في هذه القضية الخطيرة ...

ومن الحق ان لا نتجاهل اليابان في هذا التزاحم الخطير ، فان السياسة اليابانية تسعى سعياً حثيثاً ليكون لها مركز تجاري في البحر الاحمر ، توكيداً لتجارتها مع اوروبا ، وقد اخذت اليابان تبسط نفوزها في الحبشة ، ونالت منها بعض الامتيازات الاقتصادية والزراعية ، ولكن هل مدت اليابان اصابعها الى البلاد العربية ؟؟

لقد ثبت اليوم ان يابانيان قد نزلا الى جدة في اواخر تشرين الثاني من سنة ١٩٣٤ ، وقد اختفى الرجلان ، فاين ذهبا ؟ وهل قابلا ابن السعود ؟ وهل نجحا في الاتفاق معه ؟؟ وما سيكون موقف سيد الجزيرة من هذه المصالح الاوربية المشتبكة ؟

....

ان ابن السعود قد تمكن من حفظ استقلاله حتى اليوم ، واذا كان قد اتفق مع الانكليز فلأنهم اقرب الدول اليه ، واكثرهم كرماً وبراً ، وليس من المنتظر ان يبدل سياسته ويتفق مع اليابانيين البعيدين عنه كثيراً ، والذين لا تربطه واياهم مصالح حدود ولا غيرها وسواها .

ولذلك فمن المنتظر ان تفشل السياسة اليابانية في الجزيرة العربية كما فشلت الايطالية ، وان تضطر اليابان الى الاتجاه نحو الحبشة ونحو افريقيا ، كما تفعل ايطاليا ، تبحث فيها عن المراكز والامتيازات ...

ان الموقف السياسي في الجزيرة العربية اليوم وغداً يتوقف على مدى الاعوام التي يقضيها ابن السعود في هذه الحياة

فابن السعود ليس فوق البشر ، ولكنه رجل قوي ، وهو في نظر الاوربيين مليك تنقصه اشياء كثيرة ، ولكنه الرجل الذي يصلح للجزيرة العربية ، واما نجله وولي عهده الامير سعود ، فهو كثير الشبه به ، ولكنه شاب لم يغادر العربية حتى اليوم ، ولا يعرف من الامصار الا مصر ، فهو والحالة هذه شاب عربي نجدي يضطرب في كثير من البداوة الجميلة الرائعة

ولكن الاخبار الاخيرة الواردة من الجزيرة تفيد ان سيد الجزيرة قد قرر ارسال ولي عهده الى اوربا ، يطوف عواصمها ، ويجتمع الى ملوكها ورؤسائها ، ويتحدث الى وزرائها ورجالاتها ، وفي هذه الزيارة ما فيها من فائدة ، تتوسع معها مدارك ولي عهد العربية ، فيشاهد العالم الجديد بعينيه ، ويبصر ما به من الوان الحضارة والعمران ، وما يضطرب فيه من قوة وبأس شديد ، وينظر الى محاسنه ويشاهد مساوئه ، فاذا عاد الى الجزيرة حمل معه النافع اليها الصالح لها ، فانها حقاً بحاجة الى طرف الحضارة الاوربية ، ونفائس الثقافة الجديدة

وولي العهد سمهري القوام جواد مقدام لين العريكة له خلق رضي كالنسيم رقة ولطفاً ، تقي ورع ، يضطرب حماسة ، ويعمل

بنشاط في سبيل استقلال البلاد العربية ، ووحدتها الشاملة ، كما صرح بذلك سموه لمراسل احدى الصحف العربية ، وهي غايات يسرنا ان نذكرها في كتابنا هذا ، ليعلم العرب رأي المليك والامراء في مستقبل بلادهم ، ومصاير اخوانهم من العرب والمسلمين

....

ان الثورات السياسية او الاجتماعية التي يخلقها الافراد ، تحتاج لكي تصبح راسخة في النفوس قوية في القلوب الى سنوات عديدة ، واذا كان صاحب الفكرة قد طواه الردى ، فيجب لنجاح الفكرة ان يكون بين انصاره من هو مثله قوة وجرأة وذكاء وايمانا بالفكرة ليقوم مقام صاحبها في ترويجها واذاعتها

واما اذا مات صاحب الفكرة بعد فترة يسيرة من اعلان فكرته ، واقرارها ، ولم يخلفه من يستطيع القيام مقامه ، فان الفكرة تنهار حتما ، وتسقط الى الحضيض

ان ابن السعود يسعى اليوم لتوطيد مركزه في الجزيرة ، ويعمل لاعادة المجد العربي الغابر ، فاذا طال عمره خمس عشرة سنة اخرى ، اصبح رجلا من واجب اوربا الاهتمام بالبناء ، الذي خلقه واقامه ، وامعن في توطيده وتمكينه ، واصبح من واجبها ان تفكر به في حياته وبعد موته .

***

ونحن نرجو من الله سبحانه وتعالى ان يمد في عمر صاحب الجلالة ليتمكن من تحقيق ما نذره من خدمة العربية وخدمة الاسلام، وان يرى بنفسه البناء الذي يعمل على اقامته وتوطيده وتثبيته قوياً شديداً عالياً لا تؤثر عليه الاعاصير، ولا تفعل فيه الزوابع، فان العرب اليوم احوج ما يكونوا لشخصية كشخصيته، يثقون باخلاصها ويؤمنون بجرأتها، يتركون لها مصايرهم يسيرها وفاقاً للمصلحة العربية، التي يجب ان تكون بعد اليوم غاية الغايات، واشرف المطالب

وفق الله صاحب الجلالة لما فيه الخير والفلاح للعرب والاسلام

بيروت — صفر ١٣٥٤ / مايس ١٩٣٥

تم الكتاب

١

النص الرسمي لمعاهدة الطايف

بين الملكين عبد العزيز السعود والامام يحيي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

بما انه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية لانهاء حاله الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته .

ولتأسيس علاقات الصداقة الاسلامية بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مُفوض من قبل جلالته .

وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابله وذلك فى مدينة جده في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي :

معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية بين المملكة العربية السعودية ، وبين المملكة اليمانية

حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة وحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة اخرى

رغبة منهما في انهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على اساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما وانشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الاسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما .

ورغبة في ان يكونا عضداً واحداً امام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية واخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن السيد عبد الله بن احمد الوزير

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآتي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد ان اطلع المندوبان المذكوران على اوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

انتهاء حالة الحرب

المادة الاولى — تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة واخوة اسلامية عربية دائمة لا يمكن الاخلال بها جميعها او بعضها

ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بان يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما وبان يسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامي العربي في سائر المواقف والحالات . ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاقات سراً وعلناً ويرجوان منه سبحانه وتعالى ان يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما الى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما .

تبادل احترام الاستقلال والحدود

المادة الثانية — يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للاخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاماً مطلقاً ، وبالملكية على مملكة اليمن

ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاماً مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعوديه ويسقط كل منهما اي حق يدعيه في قسم او اقسام من بلاد الاخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

ان جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن اي حق يدعيه من حماية او استقلال او غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الادارسة وغيرها

كما ان جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة او آل عائض او في نجران وبلاد يام .

صلاة المتعاقدين ازاء الاخرين

المادة الثالثة – يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه علَى ايهما على ان لا يكون ما يمنحه احد الفريقين الساميين المتعاقدين للاخر اقل مما يمنحه لفريق ثالث . ولا يوجب هذا على اي الفريقين ان يمنح الاخر اكثر مما يقابله بمثله

خط الحدود

المادة الرابعة – خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين ،وضح بالتفسير الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلا قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما .

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الاحمر الى جبال تهامة في الجهة الشرقية ، ثم يرجع شمالاً الى ان ينتهي الى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ، ثم ينحرف الى جهة الشرق الى ان ينتهي الى ما بين حدود « نقعة » و «وعار» التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ، ثم ينحرف الى ان يبلغ مضيق ،روان وعقبة رفادة ، ثم ينحرف من جهة الشرق الى اطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زايد وائلي وغيره وبين يام .

فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر الى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة ، فهو من المملكة اليمانية .

وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية .

فما هو من جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه

مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد ومايليها ومحل مربصفة من سحار الشام وعموم سحار ونقمة ووعار وعموم وائلة و كذا الفرع مع عقبة نهوقه وعموم من عدا يام ووادعة ظهر ان من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً او تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية

وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان واكثر الحرث والخوبة والجابري واكثر العبادل وجميع فيفاء وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة زفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكلما هو تحت عقبة نهوقة الى اطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً او تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية

التحكيم في الحدود

وما ذكر من يام ونجران والحضن ورور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز بان جميعها تتبع المملكة العربية السعودية

وحيث ان الحضن وزور وادعة ومن هو من وائل في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية الا لما ذكر فذلك لا لا يمنعهم ولا يمنع اخوانهم وائله عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به ٠

ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين اطراف قبائل

المملكة العربية السعودية واطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات .

وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين

اما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على اكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية اخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل

عدم تحصين الحدود

المادة الخامسة — نظراً لرغبه كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمانينة والسكون وعدم ايجاد اي شيء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهداً متقابلا بعدم احداث اي بناء محصن في مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود

سحب الجنود

المادة السادسة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي اصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الاخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر

منع الغزو والعدوان

المادة السابعة — يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بان يمنع كل منهما اهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على اهالي المملكة الاخرى في كل جهة

وطريق وبان يمنع الغزو بين اهل البوادي من الطرفين ويرد كل ما ثبت اخذه بالتحقيق الشرعي من بعد ابرام المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل او جرح وبالعقوبه الحاسمة على من ثبت منهم العدوان

ويظل العمل بهذه المادة ساريا الى ان يوضع بين الفريقين اتفاق اخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر

حل المشاكل سلمياً

المادة الثامنة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بان يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما ومن الاختلاف سواء كان سببه ومنشأه هذه المعاهدة او تفسير كل او بعض موادها ام كان ناشئاً عن اي سبب آخر بالمراجعات الودية

وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بان يلجأ الى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة . ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمما للكل فيها

تحالف دفاع هجومي

المادة التاسعة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لاي عمل عدواني اوشروع فيه او استعداد له ضد بلاد الفريق الاخر ، كما انه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الاخر وهي

١ — ان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير . فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالادب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع امثاله

٢ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى

حكومته الطالبة · وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الاجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب او تمكينه من الهرب وفي الاحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التي فر من اراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى اراضيها مرة اخرى وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم الى حكومته

٣ ـ وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على اراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة اليها في المستقبل

تبادل المجرمين السياسيين

المادة العاشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان ام صغيراً موظفاً كان ام غير موظف فرد كان ام جماعة

ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من ادارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين الى حدود بلاده · فان تمكن احدهم او كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في اراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ والقاء القبض عليه وتسليمه الى حكومة بلاده الفار منها ، وفي حالة عدم امكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ اليها الى بلاد الحكومة التي يتبعها

المادة الحادية عشرة - يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة باي وجه كان مع رعايا الفريق الاخر بالذات او بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق او توقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة

المادة الثانية عشرة — يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان

اهل كل جهة من الجهات الصائرة الى الفريق الاخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق

ويتعهد كل منهما بعدم قبول اي شخص او اشخاص من رعايا الفريق الاخر رعية له الا بموافقة ذلك الفريق وبان تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الاخر طبقا للاحكام الشرعية المحلية ·

اعلان العفو الشامل

المادة الثالثة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد او افراد من رعايا الفريق الاخر المقيمين في بلاده (اي في بلاد الفريق الذي منه اصدار العفو) كما انه يتعهد باصدار عفو عام شامل كامل عن افراد رعاياه الذين لجأوا او انحازوا او باي شكل من الاشكال انضموا الى الفريق الاخر عن كل جناية ومال اخذوا منذ لجأوا الى الفريق الآخر الى عودتهم كائنا ما كان و بالغا ما بلغ وبعدم السماح باجراء اي نوع من الايذاء او التعقيب او التضييق بسبب ذلك الالتجاء والانحياز او الشكل الذي انضموا بموجبه · واذا حصل ريب عند اي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب او الشك من الفريقين مراجعة الفرق الاخر لاجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وان تعذر على احدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لا يحصل اي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً ·

المادة الرابعة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم املاك رعاياه الذين يعفي عنهم اليهم او الى ورثتهم عند رجوعهم الى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم و كذلك يتعهد الفريقان الساميان

المتعاقدان بعدم حجز اي شيء من الحقوق والاملاك التي تكون لرعايا الفريق الاخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها او اي نوع من انواع التصرفات الشرعية فيها .

المادة الخامسة عشرة — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرد ام هيئة ام حكومة او الاتفاق معه على اي امر يخل بمصلحة الفريق الاخر او يضر ببلاده او يكون من ورائه احداث المشكلات والصعوبات له او يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للاخطار

اليمن والحجاز امة واحدة

المادة السادسة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعها روابط الاخوة الاسلامية والعنصرية العربية ان امتهما امة واحدة وانهما لا يريدان باحد شراً وانهما يعملان جهدهما لاجل ترقية شؤون امتهما في ظل الطمأنينة والسكون وان يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وامتهما غير قاصدين بهذا اي عدوان على اية امة اخرى

تحالف دفاعي هجومي

المادة السابعة عشرة — في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد احد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الاخر ان ينفذ التعهدات الاتية :

اولا — الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً

ثانياً المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة

ثالثاً — الشروع في المذاكرة مع الفريقين لمعرفة انجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بانه تعضيد للمعتدي الخارجي

حسن جوار

المادة الثامنة عشرة — في حالة حصول فتن او اعتداءات داخلية في

بلاد احد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلا بما يأتي:

اولا — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين او الثائرين من الاستفادة من اراضيه

ثانيا — منع التجاء اللاجئين الى بلاده وتسليمهم او طردهم اذا لجأوا اليها كما هو موضح في المادة التاسعة والعاشرة اعلاه ·

ثالثا — منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين او الثائرين وعدم تشجيعهم او تموينهم

رابعا — منع الامدادات والارزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين او الثائرين

توحيد الرسوم الجمركية

المادة التاسعة عشرة — يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في كل عمل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما · وفي اجراء مفاوضات تفصيلية من اجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين او بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين · وليس في هذه المادة ما يقيد حرية احد الفريقين الساميين المتعاقدين في اي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار اليه

توحيد التمثيل الخارجي

المادة العشرون — يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لان يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج ان يوجدوا بالنيابة عن الفريق الاخر متى اراد الفريق الاخر ذلك في اي شيء وفي اي وقت

من المفهوم انه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كلمة واحدة

ومن المفهوم ان هذه المادة لا تقيد حرية احد الجانبين باي صورة كانت في اي حق له بما كما انه لا يمكن ان تفسر بحجز حرية احدهما او اضطراره لسلوك هذه الطريقة

الغاء وابرام مدة المعاهدة

المادة الحادية والعشرون — يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ على كل حال اعتبارا من تاريخ ابرام هذه المعاهدة ٠

المادة الثانية والعشرون — تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة المالكين في اقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات ابرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الاولى من انهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة

ويمكن تجديدها او تعديلها خلال الستة الاشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها. فان لم تجدد او تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول الى ما بعد ستة اشهر من اعلان احد الفريقين المتعاقدين الفريق الاخر رغبته في التعديل

اسم المعاهدة ولغتها

المادة الثالثة والعشرون — تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت في نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة

واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه ٠ وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة الف

(التوقيع) : خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) : عبدالله بن احمد الوزير

فهرس الكتاب

سلسلة مطبوعات [الاهلية]

فتح جديد

في التأليف ؛ وفي الاسلوب ؛ وفي الاتقان

غروش سورية

١٥ محمد النبي العربي مأخوذة مصادره من كتب السيرة النبوية

٥ محمد رسول الهدى والرحمة - لكاتب الانكليز الاشهر (كارليل)

١٥ ابو بكر الصديق — اول خليفة في الاسلام وأثره في الدولة الاسلامية

١٢ الفاروق عمر بن الخطاب صفحة زاهرة من مناقبه وعدله ...

١٠ الحسين بن علي — حفيد النبي (ص) اجمع تاريخ لاول شهيد في الاسلام

١٠ خالد بن الوليد — البطل الخالد والصحابي الجليل

١٥ هرون الرشيد — فيه وصف للحضارة والعمران الخ .. في عصره

٨ ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام كتاب فريد في نوعه

٢٠ فيصل ملك العراق تأليف مسز اريكن الاميركية

١٥ سيد الجزيرة العربية ، ابن سعود مزداناً بالرسوم